قلب

موصول بالله

د.هانى درغام

أشواق قلب

(رجعتُ إليكَ إلهَ الوجودِ فطابَ رجوعي وطاب سجودي

رجعتُ أريدُ الخلودَ ومالي سواكَ فهبْ لي جِنانَ الخلودِ

رجعتُ وأهواءُ نفسي قيودٌ أعِنّي إلهي لكسرِ القيودِ

أيا ربِّ إني مَللتُ دروبي وعمري اشتكى من جراحِ الذنوبِ

فذنبي كبيرٌ.. وحوبي عظيمٌ ويَمسحُ عفوُكَ ذنبي وحوبي

وأعلمُ أنكَ تعفو.. ولكنْ يطولُ لأوزارِ عمري نحيبي

وأعلمُ أنكَ تغفرُ ذنبي وتعلمُ أني أحبّكَ ربي

ولو كان عمري ذنوباً فإني سأسألُ قربي وأعلنُ حبي

وأعلنُ أني أحبك ربي بدمعي.. بلحني.. بخفقةِ قلبي

رجعتُ إليكَ أُرَجّي رضاكَ وما كنتُ أرجو إلهي سواكَ

أناجيكَ.. أدعو وكليّ رجاءٌ وحاشا يَخيبُ محبٌّ دعاكَ

إليكَ مآلي.. وكلُّ سؤالي رضاكَ إلهي وحسبي رضاكَ) [1]

---

[1] من مناجاة خاشعة بعنوان رجعتُ إليك بقلم د. عبد المعطي الدالاتي

لمن هذا الكتاب

• هل يُعاني قلبك مثلي من سعار الشهوات وحُجب الغفلات وتراكم الخطايا والزلات؟

• هل اشتاق قلبك يوماً للقرب من الله واللجوء إلي حماه والإنطراح ببابه والإنكسار لجنابه؟

• هل تمنيت يوماً قلباً استنار بنور الإيمان واستضاء بأنوار المحبة والخشوع والإنابة والإخلاص لله تعالى.. واطمأن بالتوكل على الله والإستعانة به والرجاء برحمته.. يؤثر رضا الله على شهوته.. ويستجيب لأمر الله على هواه.. يأنس بذكر الله وتلاوة كتابه والإقبال عليه وعبادته والتذلل بين يديه.. حُبب اليه الايمان وزُين في قلبه وكرُه اليه الفسوق والعصيان؟

• هل رغبت في قلب يرتع في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات ويتنزه في رياض الأعمال الصالحات ويستنشق عبير النفحات ويكثر من القربات؟

أهدي إلي قلبي وقلبك هذه الصفحات

عله يتحرر من سجن الهوي والملذات...

ويتطهر من جنابة الغفلات ويتجاوز حدود المثبطات والملهيات...

عساه يحلق في آفاق الطاعات...

قبــل أن تغــدو عليــك الحســرات وتــذوق مــرارة التبعــات وســاعتها لــن تنفعك الآهات.

فيا قلبي الغافل المسكين... أفق من سكرتك... وانتبه من رقدتك...

وعد إلى رشدك قبل أن يأتي

(ڤ ڤ ڨ ڨ ڨ ڤ ڤ ڨ ج ج چ چ ج) (الشعراء ٨٨-٨٩)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين... أحمدك ربي وأستعينك وأستهديك وأتوب إليك وأستغفرك.. سبحان من ذكره قوت القلوب ومن خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب وبرجاء رحمته تتنفس عن نفوس الخائفين الكروب... ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته... فكل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح، وكل صدور خلت من هيبته وتقواه فهي ضيقة ليس لها انشراح، وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء.. سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك...

اللهم إنى أبرأ من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك وأبرأ من التسليم إلا لك وأبرأ من التفويض إلا إليك وأبرأ من التوكل إلا عليك وأبرأ من الصبر إلا علي بابك وأبرأ من الذل إلا في طاعتك وأبرأ من الرجاء إلا بما في يديك الكريمتين... وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

إن القلب الإنساني دائم الشعور بالحاجة إلى الله وهو شعور أصيل لا يملأ فراغه شيء في الوجود إلا حسن الصلة برب الوجود.. وهذا هو جوهر العبادة.. (ذلك أن الأصل في الإنسان أن يكون مع الله تعالى، موصول الحبال به، لا يبعد عنه، ولا يستغني عنه سبحانه لحياة جسمه كما

لا يستغني عنه لحياة روحه.. بل لعل حاجته إليه في الآخرة أشد من حاجته إليه في الأولى لأن حاجة جسمه تشاركه فيها البهيمة العجماء.. أما حاجة الروح فهي التي تميزه عن غيره من الأنعام والحيوانات.. فقد خلقه الله تعالى على طبيعة مزدوجة فيها قبضة الطين كما فيها نفخة الروح.. وهذه هي التي جعلته أهلاً لأن تسجد له الملائكة تكريمًا واحتفالاً بشأنه)[٢].

وهكذا فصاحب القلب الموصول بالله يعيش لرسالة كبيرة ويعمل لهدف رفيع ويحيا في ظل مُثل عليا ويعيش لها ويموت عليها هي القربى إلى الله والسعي الى مرضاته والتخلق بأخلاق كتابه القرآن العظيم.. ومن أجل مُثله يكبح جماح نفسه ويضغط على غرائزه وشهواته احتسابا لله وإيثارا لما عنده وابتغاء مرضاته وإيمانا بحسن الثواب.

فهو يعلم أن (الحياة الحقيقية ليست صورة اللحم والدم ولا اكتناز العضلات وقوة الحركات كلا.. فتلك حياة يشترك فيها البشر والسباع والدواب والزواحف بل لعل حظوظ الأنعام منها أوفر.. الحياة الحقيقية هي هذه الصلة التي تنشأ مع الله بعد معرفته... هي هذه الإنتظام الجديد مع أوامر الله ونواهية بعد أن أعلن اللسان هذه البداية بقوله: (ۆ ۈ ۇٰ ۋ ۆُ ۋ ۋ ۅ ۅ ۋ).. أجل مع هذا الإقرار السمح لا يبطئ المؤمن في الانتقال إلى عالمه الجديد حيث يسلم وجهة لله وحده ويتحرك فوق ظهر هذه الأرض وفق ما يطلب منه مولاه.. فهو محكوم في امتداده وانكماشه

---

[٢] التوبة إلي الله ص ٤٣ د. يوسف القرضاوي

وحبـه وبغضـه وسـلمه وحربـه بحـدود الحـلال والحـرام والثـواب والعقـاب وطلب الزلفى من ربه والوجل من طرده).[3]

فالقلـب لا يصـلح ولا يفلـح ولا يـنعم ولا يسـرّ ولا يطيـب ولا يسـكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده وحبـه والإنابـة إليـه ولـو حصـل لـه كـل مـا يلتـذ بـه مـن المخلوقـات لم يطمـئن ولم يسـكن.. إذ فيـه فقـر ذاتـي إلى ربـه بـالفطرة مـن حيـث معبـوده ومحبوبـه ومطلوبـه وبـذلك يحصـل لـه الفـرح والسـرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

نعـم... لـن يـنعم القلـب بالسـعادة الحقيقيـة والراحـة المسـتمرة والسـكينة المستقرة إلا في قـوة الصـلة بـالله.. ولـن تُعـالج ظمـأ الأرواح وجفـاف القلـوب وتتحـرر مـن سـجن الجسـد والغرائـز وتحطـم قيـود الماديـات وتتخفـف مـن بهـارج الـدنيا وزينتهـا ومشـاغلها وهمومهـا إلا إذا امتلكـت قلـب موصـول بالله.. نعـم... لا سـبيل لنـا إلى مرضـاة الله والقـرب منـه إلا بالقلـب الموصـول بالله عز وجل..

- قلب موصول بالله..

يتعلـق بـالله ويتصـل بـه.. دخـل في نسـب العبوديـة.. ولـبس تـاج الخدمـة للأحد الصـمد.. وحمـل رايـة الولايـة.. وتشـرف بالانضـواء تحـت علـم (ٹ ٹ ڈ ڈ)... يجد في قلبه فرحاً بفضله وشوقاً للقائه ولسان حاله:

---

[3] هذا ديننا ٧٧ -٧٨ الشيخ محمد الغزالي

ليتك تحلو والحياة مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضابُ

ليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هينٌ وكل الذي فوق التراب ترابُ

- قلب موصول بالله..

سعادته في الأنس بالله والخلوة لمناجاته وذكره واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة الناس والاشتغال بهم.. فهو ينتظر الفرصة التي يخلو فيها المكان، وتهدأ الأصوات ليخلو بربه، ويبث إليه أشواقه، ويعرض عليه شكايته، ويطلب منه حاجته.. ويسارع في استرضائه إذا ما وقع منه تقصير أو تجاوز.. يردد مع القائل:

(لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذة الأنس بالله لجالدونا عليه بالسيوف.. ولو ذاق أرباب الدنيا ما ذقناه من حلاوة الطاعة لغبطونا وزاحمونا عليه)

- قلب موصول بالله..

لا تؤثر فيه رياح الغفلات.. ولا ينحني لطوفان الشهوات والملذات.. ولا تستعبده نزوة من النزوات.. ولا تغره الدنيا بما فيها من المغريات والملهيات.

- قلب موصول بالله..

يقارع ويواجه المرأة السافرة.. والشاشة الهابطة.. والكلمة السافلة.. والمجلة الخليعة.. والأغنية الماجنة.. وجليس السوء كلها تنادي هيت لك.. فيأبي إلا أن يصيح: معاذ الله

- قلب موصول بالله..

قلب قد سلم لعبودية ربه حياء وخوفا وطمعا ورجاء.. ففني بحبه عن حب ما سواه وبخوفه عن خوف ما سواه وبرجائه عن رجاء ما سواه وسلم لأمره ولرسوله تصديقا وطاعة واستسلم لقضائه وقدره فلم يتهمه ولم ينازعه ولم يتسخط لأقداره فأسلم لربه انقيادا وخضوعا وذلا وعبودية.

- قلب موصول بالله..

عظمة الله في قلبه.. وجلال الله في نفسه.. وحب المصطفى في روحه.. وفي الجنة أمله وملاقاة الأحبة هواه.. وحوض المصطفى مناه.. ولذة النظر إلى وجه ربه غاية مبتغاه.

- قلب موصول بالله..

قلب صنع على عين الله... رفع شعار (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ) (طه٨٤)

(فلا يبهجه إلا (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)(الرحمن٥٤)

ولا يفرحه إلا (ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ) (المطففين٢٤).

ولا يسره إلا (ۆ ۈ ۈ ۇ) (المطففين٢٥).

ولا يسعده إلا (ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) (الحاقة٢٤)

ولا يطربه إلا (ٹ ٹ ٹ ٹ) (الرحمن٧٢).

ولا ينعشه إلا (ې ې ې ى ى ئا ئا) (الانسان٢٠)) [٤]

أواه يا قلب..

أمازلت تركض في متاهات الضلال بين جفاف وجفاف؟!

أمازلت تبحث عن راحة بالك وسلوة روحك وشفاء نفسك؟!

أمازلـــت تفـتش عـن متعـة الـدنيا وحـلاوة العمـر وجمـال العـيش وروعـة الأنس؟!

عجبًـا لمـن يـداوي العـذاب بعـذاب ويتقـي الرمضـاء بلـهيب.. أوِ... لـو تذوق قلبي وقلبك طعم معنى القـرب مـن الله وحـلاوة مناجاتـه وبـرد عفـوه ورضاه ولـذة الأنـس بـه سـبحانه والشـوق إليـه.. فيـا فـوز القلـوب الموصـولة بـالله بمحبـة الله في الـدُّنيا وذوق بـرد الـيقين وحـلاوة الإيمـان. ويـا سـعادتهم يـوم لقائـه حـين يحـلُّ علـيهم الكرامـة والرضـوان. ويـا غبطـتهم في قبـورهم حـين يفترشـون الـرَّوْح والريحـان. ويـا فـرحهم حـين تتلقـاهم الملائكـةُ مهنـئين لهم بالخير والكرامات والإحسان(ې ې ې ى) (الزمر ٧٣)

---

[٤] من رسالة بعنوان أما بعد د. عائض القرني

ولا يدعي كاتب هذه السطور أنه صاحب قلب موصول بالله ولكنه في جهاد مستمر مع نفسه الأمارة بالسوء وشيطانه اللحوح المغوي وشهواته المغرية.. وإنما حالي كحال القائل:

وغير تقي يأمرُ الناس بالتقى طبيب
يـــداوي النـــاس والطبيب عليـل

وإنما أرجو بهذه الكلمات جبر التقصير والزلل وأن تكون خطوة علي طريق المثابرة والمجاهدة للوصول إلي قوة الصلة بالله والإقبال عليه (ڻ ڻ ڐ ڐ ۀ ۀ ہ ہ ﮪ ﮫ) (العنكبوت ٦٩)

اللهم ارزق كاتب هذه الصفحات وناشرها وقارئها قلبا موصولا بك.. يشتاق إلي لقائك ويأنس بمناجاتك.. ويسعد في قربك.. ويتنعم بذكرك.. يبث إليك أشواقه.. ويرفع إليك شكايته.. ويطلب منك حاجته (ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯧ ﯧ ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ﯪ ﯪ ﯫ ﯫ ﯬ ﯬ ﯭ ﯭ ﯮ ﯮ ﯯ ﯯ ﯰ ﯰ ﯱ ﯱ ﯲ ﯲ ﯳ ﯳ ﯴ ﯴ ﯵ ﯵ ﯶ ﯶ ﯷ ﯷ ﯸ ﯸ ﯹ ﯹ ﯺ ﯺ) (آل عمران ١٩٣ -١٩٤)

الفقير إلي برد عفوك يارب

هاني محمود درغام

الفصل الأول

القلب المفقود

إن الناظر إلي أحوال كثير من الناس يجد أنه قد غلبت على أنفسهم ماديات الحياة وزخرفها وتزينت الدنيا لهم بأبهى مظاهر الزينة وأظهرت من مفاتنها ما أغرى النفوس والقلوب فتهافتت عليها من كل ناحية وصوب لاهثة راغبة في اكتساب أكبر قدر من زينتها ومفاتنها وتغلغلت الغفلة في النفوس فتاهت في أمواجها.. وتحدرت الروح بأدخنة الشهوات والأهواء فلم تستطع أن تبصر نجاتها.. فتري كثير من الناس يحرص علي سلامة جسده فيغذيه بما ينفعه من الأغذية الصالحة والنافعة.. ويجتهد قدر إمكانه في البعد عن الأغذية الضارة لصحته مهما كانت حلاوتها وطيب مذاقها.. أما القلب الذي هو الوطن الأصلي لروح الإيمان والعبادة والإحسان.. والنهر الجاري الذي تسيل فيه المشاعر الدقيقة الرقيقة بين الإنسان وربه.. هذا القلب أصبح مرتعا للشهوات ومركبا للغفلات ومحِلا للشيطان والعجيب أن أكثر الناس لا ينتبهون إلي ذلك.. فياللمفارقة الهائلة بين من يهتم بصحة جسده ولا يهتم بصحة قلبه مع أن كل أمراض البدن تنتهي عند الموت.. أما أمراض القلب فتبدأ بعد الموت.

فواعجباً من الناس.. يبكون على من مات جسده ولايبكون على من مات قلبه وهو أشد.

أخي في الله.. وعبر هذه الصفحات نتعرف أكثر علي أهمية القلب بصفة عامة والقلب الموصول بالله بصفة خاصة.. سائلاً الله عز وجل أن يعيد الحياة إلى قلبي وقلبك عساه أن يولد من جديد ليحلق بعدها في

ملكـوت السـماوات فتهـبط عليـه نفحـات الأنـس بـالله والقـرب منـه وعنـدها تدق فيه أفراح السعادة فيذوق حلاوة لم يذقها من قبل.

والآن إلى أهم هذه الأسباب:

١- لأن كـثيرًا مـن النـاس لا يعلمـون شـيئًا عـن القلـب سـوي أنـه اللحـم الصـنوبري الشـكل المـودع في الجانـب الأيسـر مـن الصـدر المسئول عـن ضـخ الدم إلي جميع أجزاء الجسم.

وجهِلـوا أن القلـب في نظـر الإسـلام هـو مركـز التعقـل والإعتقـاد والنيـات والإرادات والعواطــف والإنفعــالات.. فهــو ملتقــى العواطــف الدافعــة كالحـب والتعظـيم.. والرادعـة كـالخوف والكراهيـة والممجـدة كالإنبهـار والإعجـاب.. وهـو العـين الباصـرة الـتي تكشـف للإنسـان مسـالكه وتحـدد المسـتقيم والمعـوجّ مـن طرقـه.. فهـو البوصـلة الـتي يُعتمـد عليهـا فـى تقـويم الأخلاق وفـى التعـرف علـى الخـير والشـر والحسـن والقبـيح.. فهـو سـبب في ضـلال الإنسـان وهدايتـه.. فللقلـب أهميـة عظيمـة ومنزلـة خاصـة نوجزهـا فيما يلي:

 محل نظر الرب سبحانه وتعالى:

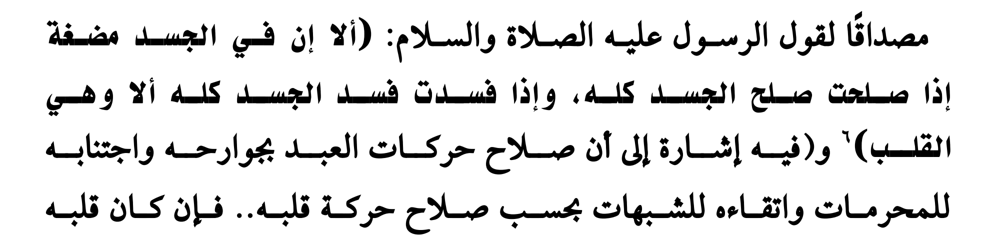
قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: **(إن الله لا ينظـر إلــى أجســادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)** (رواه مسلم٢٥٦٤)

وهنا تكمن أهميـة القلـب في أنـه محـل النيـة.. والنيـة أسـاس العمـل ومبـدؤه وروحه وباعثه

(فأعمــال القلــوب هــي الأصــل المــراد المقصــود وأعمــال الجــوارح تبعــاً ومكملة.. وأما النيـة فبمنزلـة الـروح.. والعمـل بمنزلـة الجسـد للأعضـاء الـذي إذا فارق الروح كمواتهـا وكـذلك العمـل إذا لم تصـحبه النيـة فحركـة عابـث.. فمعرفـة أحكـام القلـوب أهـم مـن معرفـة أحكـام الجـوارح إذ هـي أصـلها وأحكام الجوارح متفرعة عنها)[5].

فيا عجبا ممـن اهـتم بوجهـه الـذي هـو موضـع نظـر الخلـق فيغسـله وينظفـه من الأقذار والأدنـاس ويزينـه بمـا أمكنـه لـئلا يطلـع مخلـوق فيـه علـى عيـب.. ولا يهـتم بقلبـه الـذي هـو موضـع نظـر رب العـالمين فيطهـره ويزينـه كـي لا يطلع الـرب عزوجـل علـى دنسـه وآفاتـه بـل يهملـه بقبـائح وأقـذار لـو اطلـع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرأوا منه وطردوه.

بصلاحه يصلح الجسد كله وبفساده يفسد:



مصداقًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[6] و(فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.. فإن كان قلبه

[5] بدائع الفوائد ج ٣ ص٢٢٤ الإمام بن القيم

[6] متفق عليه.. رواه البخاري٥٠ ومسلم ٢٩٩٦

سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه.. صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات.. وإن كان القلب فاسدًا قد استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه الله.. فسدت حركات الجوارح كلها وانبعث إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب) [٧]

وهكذا (القلب أمير الجسد وملك الأعضاء فهو راعيها الوحيد وقائدها وإنما الجوارح والحواس تبع له وآلات تصدع بما تؤمر، فلا تصدر أفعالها إلا عن أمره، ولا يستعملها في غير ما يريد، فهي تحت سيطرته وقهره، ومنه تكتسب الاستقامة أو الزيغ.. وبين القلب والأعضاء صلة عجيبة وتوافق غريب بحيث تسري مخالفة كل منهما فورا إلى الآخر.. فإذا زاغ البصر فلأنه مأمور، وإذا كذب اللسان فما هو غير عبد مقهور، وإذا سعت القدم إلى الحرام فسعي القلب أسبق.. فأعمال الجوارح ثمرة لأعمال القلب.. والخلاصة: القلب هو خط الدفاع الأول والأخير.. فإذا ضعف القلب أو فسد أو استسلم انهارت الجوارح.. وفي المقابل إذا ذكر العبد ربه فلأن القلب ذكَر وإذا أطلق يده بالصدقة فلأن القلب أذِن وإذا بكت العين فلأن القلب أمر.. فالقلب مملي الكلام على اللسان إذا نطق وعلى اليد إذا كتبت وعلى الأقدام إذا مشت)[٨].

---

[٧] جامع العلوم والحكم ص٩٢ الإمام بن رجب الحنبلي

[٨] بأي قلب نلقاه ص ١٩ د. خالد أبوشادي

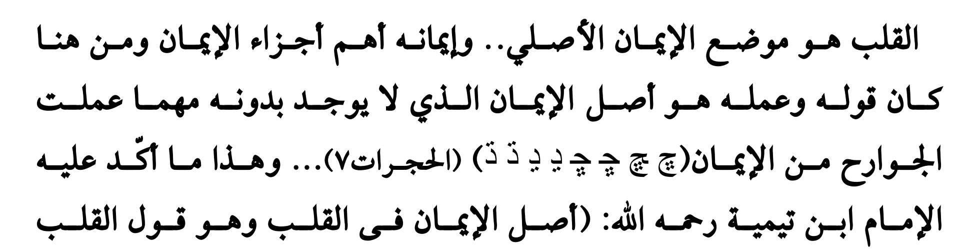
كثير التقلب:

لـذا كـان أكثـر دعـاء الـنبي عليـه الصـلاة والسـلام كمـا أخـبرت أم سـلمة رضي الله عنهـا: (**يا مقلـب القلـوب ثبـت قلبـي علـى دينـك**) (رواه الترمـذي ٣٥٢٢)

وهكـذا حـال المؤمن لا يـأمن تقلـب القلـب ولا يـأمن الخطـأ والزلـل ولا يأمن الـنقص والعجـز فهـو دائـم التفتـيش في عملـه.. دائـم الحسـاب لنفسـه.. دائم الحذر من الشـيطان.. دائـم التطلـع لعـون الله.. وهـذا هـو مفـرق الطريـق بين الهدى والضلال وبين الفلاح والبوار.

ومـا سُـمي القلـب إلا مـن التقلـب.. فحـال قلبـك الآن يختلـف عـن حالـه بعد سـاعة.. يختلـف عـن حالـه قبـل سـاعة.. فعنـدما توجـد لـديك نبتـة تقـوم علـي رعايتهـا وتتعهـد بحسـن مراعاتهـا حـتي تنمـو وتكـبر وتزدهـر.. وكـذلك القلـب يحتـاج إلـي عنايـة ومراعـاة حـتي ينمـو بـه الإيمـان ويزيـد وإلا فسـوف يضعُف وينـزوي الإيمـان في قلوبنـا ويترتـب علـي هـذا ضـعف الهمـة ثـم يبـدأ القلب في الدخول إلي مرحلة الإحتضار الإيماني.

أصل الإيمان في القلب:



القلب هـو موضـع الإيمـان الأصـلي.. وإيمانـه أهـم أجـزاء الإيمـان ومـن هنـا كـان قولـه وعملـه هـو أصـل الإيمـان الـذي لا يوجـد بدونـه مهمـا عملـت الجـوارح مـن الإيمـان(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) (الحجـرات٧)... وهـذا مـا أكّـد عليـه الإمـام ابـن تيميـة رحمـه الله: (أصـل الإيمـان فـى القلـب وهـو قـول القلـب

وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والإنقياد وما كان فى القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح واذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه.. ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهى تصديق لما فى القلب ودليل عليه وشاهد له وهى شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له.. لكن ما فى القلب هو الأصل لما على الجوارح).

تدور على ساحته معارك طاحنة بين أوامر الشرع وشهوات النفس:

إنّ القلب يظلّ مركزاً لجاذبين اثنين:أحدهما جاذب الفطرة وما تتضمنه من رغبة التوجّه إلى الله والإنتعاش بالقرب منه.. وثانيهما جاذب الغرائز الحيوانية المتنوعة.. فكلاهما ينبغي أن يتخذ لنفسه في القلب وطناً له يحلّ في جنباته ويوظف لمصلحته سائر وجداناته.. وهكذا تدور علي ساحات القلوب معارك طاحنة بين جنبي كل منا (ففي أحد الجانبين تجد حشود الشهوات قد اجتمعت تطالب بحظوظها وهذه الحشود وراءها إبليس يقويها ويزينها ويخفي تبعاتها ومضارها.. وعلي الجانب الآخر تجد جنود الإيمان تغذيها أوامر الدين ونواهيه وتساندها فطرة جعلها الله عزوجل في القلوب لتُذكر الإنسان دوما بميثاق أخذه الله عليه وهو في عالم الذر) [٩]... لذا الما علم عدو الله إبليس أن المدار علي القلب والإعتماد عليه أجلب

[٩] قلوب من القرآن ص ٣٣ د.علاء الدين محرم

عليه بالوساس وأقبل بوجوه الشهوات إليه وزين له من الأقوال والأعمال ما يصده عن الطريق وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق ونصب له من المصايد والحبائل ما أن سلم من الوقوع فيها لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق.

 خُلق لأجل أن يعقل الأشياء:

١- فإذا شاهدت (القلب تجد ملكاً عظيماً جالساً على سرير مملكته يأمر وينهى، ويولي ويعزل.. وقد حف به الأمراء والوزراء والجند، كلهم في خدمته، إن استقاموا وإن زاغ زاغوا، وإن فسد فسدوا.. فعليه المعول، وهو محل نظر الرب تعالى، ومحل معرفته ومحبته وخشيته والتوكل عليه والإنابة إليه والرضى به وعنه والعبودية عليه أولاً وعلى رعيته وجنده تبعاً.. فأشرف ما في الإنسان قلبه فهو العالم بالله، الساعي إليه، المحب له، وهو محل الإيمان والعرفان وهو المخاطب المبعوث إليه الرسل المخصوص بأشرف العطايا من الإيمان والعقل وإنما الجوارح أتباع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي للرعية والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره.. فإن أظلم أظلمت الجوارح وإن استنار استنارت ومع هذا فهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عزوجل)[١٠].

[١٠] التبيان في أقسام القرآن ص ٢٨٩ -٢٩١ الإمام بن القيم

٢- لأنـه لمـا تربعـت الـدنيا على القلـوب واسـتولت علـى سـويدائها.. فتـاه القلب في بحر الـدنيا ومتاعهـا واسـود مـن كثـرة الـذنوب والمعاصـي وعششـت بـه عناكـب الغفلـة وأخـذت تقتـاتُ علـى نـوره فأصـبح القلـب لا يعـرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا مـا أشـرب مـن هـواه فأصبحت الحاجـة ماسـة إلـي تـذكير القلـوب بمـا يصـلح أحوالهـا ويـداوي سـقمها ويقربهـا مـن ربهـا فهـذا وحـده هـو الطريـق المضـمون والوحيـد لسـعادتها وسـكينتها ونجاتهـا في الـدنيا والآخرة.

٣- لأن(الله سـبحانه جعـل لكـل عضـو مـن أعضـاء الإنسـان كمـالاً إن لم يحصل له فهو في قلق واضـطراب وانزعـاج بسـبب فقـدان كمالـه الـذي جعـل لـه.. مثالـه كمـال العـين بالإبصـار وكمـال الأذن بالسـمع وكمـال اللسـان بـالنطق.. فـإذا عـدمت هـذه الأعضـاء القـوى الـتي بهـا كمالهـا حصـل الألم والنقص بحسب فـوات ذلـك.. وجعـل كمـال القلـب ونعيمـه وسـروره ولذتـه وابتهاجـه في معرفتـه سـبحانه وإرادتـه ومحبتـه والإنابـة إليـه والإقبـال عليـه والشوق إليه والأنس به.. فـإذا عـدم القلـب ذلـك كـان أشـد عـذاباً واضـطراباً مـن العـين الـتي فقـدت النـور الباصـر ومـن اللسـان الـذي فقـد قـوة الكـلام والذوق.. ولا سبيل لـه إلى الطمأنينـة بوجـه مـن الوجـوه ولـو نـال مـن الـدنيا وأسبابها من العلوم ما نـال إلا بـأن يكـون الله وحـده هـو محبوبـه وإلهـه وغايـة مطلوبه وأن يكون هو مستعانه على تحصيل ذلك)[١١].

[١١] الروح ص٢٦٦ الإمام بن القيم

وهذا ما أكد عليه الإمام بن القيم رحمه الله فقال: (في القلب شعث -تفرق وتمزق- لا يلمه إلا الإقبال على الله.. وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.. وفيه حُزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.. وفيه قلق لا يسكنه إلا الإجتماع عليه والفرار منه إليه.. وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.. وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.. وفيه فاقة (فقر) لا يسدها الا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الاخلاص له.. ولوأعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدًا).

٤- لأن القلب يشبّه بالمرآة إذ تنعكس عليها مشاعر الإنسان وأحاسيسه.. (أرأيت إلى المرآة إذ توجهها إلى بئر مظلمة كيف يغدو سطحها أسود مظلماً.. وإذ توجهها إلى الشمس الساطعة كيف تتلألأ بمثل ضياء الشمس.. وإذ توجهها إلى حديقة تمازجت فيها الخضرة مع أفانين الأزهار والورود، كيف تتحول إلى لوحة تحمل الصورة ذاتها.. فكذلك القلب إن هو إلاّ مرآة تنعكس عليه صور من أحوال صاحبه.. فإذا كان الإنسان متجهاً دائماً برغباته إلى الدنيا التي تتمثل في الدرهم والدينار والدور والأثاث والمُتع والزوجة والأولاد والجد والشهرة والزعامة ونحو ذلك.. بحيث يصبح ويمسي وتلك هي آماله وأحلامه فلا بدّ أن ينطبع

ذلـك كلـه علـى مـرآة قلبـه ولا بـدّ أن تتحـول عواطفـه كلـها إلى جنـود مجنـدة في خدمته) [١٢]

وفي المقابل إذا امـتلأ القلـب بمعرفـة الله ومحبتـه وخشـيته انعكـس ذلـك علـي جوارحه فسارع إلي الطاعـة ونفـر مـن المعصـية وأصـبح همـه الشـاغل إرضـاء ربه والقرب منه.

[١٢] الحكم العطائية شرح وتحليل ج١ ص ١٨٣.. د. محمد البوطي

الفصل الثاني

مصابيح القلوب

(لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحب إليه من كل ما سواه)

بهذه الكلمات النفيسة عبر الإمام بن القيم رحمه الله عن الحياة الحقيقية للقلب.. فلا حياة للقلب إلا برضا ربه والقرب منه والأنس به.. فبه يطمئن وإليه يسكن وإليه يأوي وبه يفرح وعليه يتوكل وبه يثق وإياه يرجو وله يخاف.. فذكره قوته وغذاؤه محبته.. والشوق إليه حياته ونعيمه ولذته وسروره.. والالتفاف إلى غيره والتعلق بسواه داؤه والرجوع اليه دواؤه.

وعندها تضيء مصابيح القلب فتشرق فيه الأنوار.. فيجد المؤمن الوضاءة في خواطره ومشاعره وملامحه.. ويجد الراحة في باله وحاله ومآله.. ويجد الرفق واليسر في إيراد الأمور وإصدارها.. وفي استقبال الأحداث واستدبارها.. ويجد الطمأنينة والثقة واليقين في كل حالة وفي كل حين.. إنّه في ضوء هذا النّور يستطيع أن يُبصر طريق الهدي ويتجنب مزالق الهوي وينفض عنه غبار الغفلة.. فينعم بنفحات القرب ولذيذ الوصال وحلاوة الإشتياق... فكلما عرض له أمر من ربه أو نهي أحس من قلبه ناطقًا ينطق (لبيك وسعديك إني سامع مطيع ممتثل ولك عليّ المنة في ذلك والحمد فيه عائد إليك).. وإذا أصابه قدر وجد من قلبه ناطقا يقول (أنا عبدك ومسكينك وفقيرك وأنا عبدك الفقير العاجز الضعيف المسكين وأنت ربي العزيز الرحيم لا صبر لي إن لم تصبرني ولا قوة لي

إن لم تحملني وتقوني.. لا ملجأ لي منك إلا إليك ولا مستعان لي إلا بك ولا انصراف لي عن بابك ولا مذهب لي عنك).. فينطرح بمجموعه بين يديه ويعتمد بكليته عليه.. فإن أصابه بما يكره قال رحمة أهديت إلي ودواء نافع من طبيب مشفق وإن صرف عنه ما يحب قال شرا صرف عني) [١٣]

والآن.. أدعوك أخي الحبيب إلي الولوج إلي عالم النور والصفاء لتتعرف على أهم مصابيح القلوب:

[١٣] إغاثة اللهفان ص ٨٠

قلب استنار بنور الإيمان

(لو أن رجلاً ثقة أخبرك بأن ابنك- مثلاً- مريض وأنه قد حُمل إلي المستشفي.. فماذا تفعل؟ إن قلت لذلك الرجل: أنت صادق ولقد صدَّقْتُك في إخبارك.. ثم بقيت كما أنت لم تغير جلسة أو وضعاً ولم تحاول الإطمئنان على ابنك فأنت مصدِّق، لكن تصديقك هذا بارد جامد لا خير فيه ولا نفع لك ولا لغيرك.. وإن قلت للرجل: أنت صادق ولقد صدَّقْتك ثم خرجت فوراً بلهفة واهتمام بارزين على كيانك وسارعت إلي المستشفي وما هي إلاَّ لحظات حتى تكون فوق رأس ابنك لتطمئن عليه.. فأنت مصدِّق ولكن تصديقك هو الحي والمعتبر والنافع والحار.. فهما تصديقان إذن وشتان بينهما.. وهكذا الإيمان!!

إن الإيمان الذى يريده الله هو الإيمان الحي الفاعل، هو الإيمان المؤثر النامي، هو الإيمان القائد الموجه.. الإيمان الذى ينفع صاحبه هو الإيمان الذى يُغرس في قلبه فينمو ويزدهر وينير ويضيء ويزين هذا القلب بزينته ويملؤه في كل جوانبه وزواياه، الإيمان الذى يمد أغصانه وفروعه على كيان هذا المؤمن ووجوده، ويلقي ظلاله على حياته وواقعة، ويعطي ثماره له في ليله ونهاره.. الإيمان المعتبر هو الذي يبعث علي الحركة والهمة.. والنشاط والسعي.. والجهد والمجاهدة.. والجهاد والتربية.. والإستعلاء والعزة والثبات واليقين)[14].

[14] في ظلال الإيمان ص ٦٧-٧٠ بإختصار د. صلاح الخالدي

إخواني في الله..

(إن الإيمـان في حقيقتـه لـيس مجـرد عمـل لسـاني ولا عمـل بـدني ولا عمـل ذهني.. إن الإيمان في حقيقته عمـل نفسـي يبلـغ أغـوار الـنفس ويحـيط بجوانبهـا كلـها مـن إدراك وإرادة ووجـدان.. فـلا بـد مـن إدراك ذهـني تنكشـف بـه حقائق الوجود على مـا هـي عليـه في الواقـع وهـذا الإنكشـاف لا يـتم إلا عـن طريـق الـوحي الإلهـي المعصـوم.. ولابـد أن يبلـغ هـذا الإدراك العقلـي حـد الجـزم المـوقن والـيقين الجـازم الـذي لا يزلزلـه شـك ولا شـبهة (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ) (الحجـرات ١٥) ولابـد أن يصـحب هـذه المعرفـة الجازمـة إذعـان قلـبي وانقيـاد إرادي يتمثـل في الخضـوع والطاعـة لحكـم مـن آمـن بـه مـع الرضـا والتسـليم (ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ) (النسـاء٦٥) ولابـد أن يتبـع تلـك المعرفـة وهـذا الإذعـان حـرارة وجدانيـة قلبيـة تبعـث علـى العمـل بمقتضـيات العقيـدة والإلتـزام بمبادئهـا الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس)[15].

مـا أجمـل الإيمـان حينمـا يخـالط القلـوب.. ف(الإيمـان نـور.. نـور في القلـب ونـور في الجـوارح ونـور في الحـواس.. نـور يكشـف حقـائق الأشـياء والقـيم والأحـداث ومـا بينهـا مـن ارتباطـات ونسـب وأبعـاد.. فـالمؤمن ينظـر بهـذا النور.. نـور اللّـه فـيرى تلـك الحقـائق ويتعامـل معهـا ولا يخـبط في طريقـه ولا يلطـش في خطواتـه! والإيمـان بصـر يـرى رؤيـة حقيقيـة صـادقة غـير مهـزوزة

[15] الإيمان والحياة ص١٧ -١٨ د. يوسف القرضاوي

ولا مخلخلة ويمضي بصاحبه في الطريق على نور وعلى ثقة وفي اطمئنان.. والإيمان ظل ظليل تستروحه النفس ويرتاح له القلب.. ظل من هاجرة الشك والقلق والحيرة في التيه المظلم بلا دليل! والإيمان حياة.. حياة في القلوب والمشاعر.. حياة في القصد والإتجاه كما أنه حركة بانية مثمرة قاصدة لا خمود فيها ولا همود ولا عبث فيها ولا ضياع)[16].

حقيقة الإيمان:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب لله والعطاء لله والمنع لله)

وصدق والله الإمام ابن القيم.. فالإيمان قوة ربانية وطاقة نورانية محركة إذا استقرت في القلب ظهر أثرها حالا على الجوارح.. على أقوال الإنسان وأفعاله وحركاته وسكناته.. فهو يصلح القلوب ويهيء النفوس ويصنع العجائب وينشيء الإنسان خلقا آخر..

إخواني في الله..

إنه من يحيى في رحاب الإيمان، ويعتصم بحبله المتين، ويستضيء بنوره المشرق فهو يعيش حياته في رؤية واضحة يدرك بها حكمة الله البالغة

[16] في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٩٣٩ سيد قطب

ورحمته الواسعة وسنته الماضية وقدرته البالغة.. فتطمئن بذلك نفسه وتصفو سريرته لأنه يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.. فلا يتسرب إلى قلبه شك ولا ينفذ إلى وجدانه القلق بل يسير في دنياه بخطىً ثابتة ومسيرة موزونة تهدف إلى بلوغ ما يصبو إليه من نهاية صالحة ومصير كريم.. فالإيمان الصحيح يزود العبد بطاقة كبيرة من اليقين والثقة وشحنة عظيمة من الصبر والطمأنينة.. تأتيه النعم فلا يبطر ولا يستكبر بل يحمد ويشكر وتصيبه المحن وتحلّ به الشدائد فلا يقنط ولا ينهار أو تمزق قلبه الهموم والحسرات بل يعتصم بالصبر ويرضى بالقدر ويستمسك بعزائم الأمور.. لأنه يعيش بعقيدته في عطاء دائم وفق وضوح رؤية وقوة إدراك وإرادة ونفوذ بصيرة.. يستمد من خلال ذلك قوة الصمود إزاء الأحداث والفتن فلا تهزّه أعاصيره العاتية ولا تنال منه محنه القاسية ولا يصرفه شيء عن إيمانه وتحقيق رضا ربه مهما كانت من رغبة مغرية أو رهبة مؤذية بل لا تزيده إلا تألقا وصفاءً، وإخلاصاً وصدقاً، وصبراً وثباتاً.. ليصل إلي المنزلة التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (عجباً لأمر المؤمن.. إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن.. إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) (رواه مسلم ٢٩٩٩)

من ثمرات الإيمان:

١- طمأنينة القلب وسكينته: إن النفس تطمئن إذا كانت في كنف قوي غني قادر.. سميع بصير لا تخفي عليه خافية ولا يعجزه شيء.. تجد

عنده الملجأ والملاذ والحماية والرعاية.. بيده الرزق والأجل.. بيده العطاء والمنع والنفع والضر.. بيده العزة والذل والحياة والموت فمن هنا تأتي الطمأنينة في النفس علي قدر الله فيها فهي لا تغيب عن علمه طرفة عين ولا أقل منها... (فللسكينة مصدراً واحداً هو الإيمان بالله واليوم الآخر.. الإيمان الصادق العميق الذي لا يكدره شك ولا يفسده نفاق.. هذا ما يشهد به الواقع الماثل وما أيده التاريخ الحافل وما يلمسه كل إنسان بصير منصف في نفسه وفيمن حوله.. لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقاً وضيقاً واضطراباً وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين.. إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق وإن حفلت باللذات والمتع لأنهم لا يدركون لها معنى ولا يعرفون لها هدفاً ولا يفقهون لها سراً.. فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس أوانشراح صدر؟.. إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان وشجرة التوحيد الطيبة التي تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها فهي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض ليثبتوا إذا اضطرب الناس ويرضوا إذا سخط الناس ويوقنوا إذا شك الناس ويصبروا إذا جزع الناس ويتحلموا إذا طاش الناس)[١٧]

٢- الحياة الطيبة: لقوله تعالي (ڎ ڏ ڐ ڑ ڒ ک ڪ ګ ڬ ڭ ڮ گ) (النحل٩٧)... والمراد بالحياة هى الحياة الدّنيا.. وطيب هذه الحياة يجيء من

---

[١٧] الإيمان والحياة ص٨٧

نفحات الإيمـان باللّـه.. تلـك النفحـات الـتي تـثلج الصـدر بالطمأنينـة والرضـا وتـدفىء الـنفس بالرجـاء والأمـل بتلـك القـوة الـتي لا حـدود لهـا والـتي منهـا مصـادر الأمـور وإليهـا مصـائرها.. وذلـك كلّـه مـن عاجـل الثـواب الجزيـل الذي أعدّه اللّه لعباده المؤمنين.

٣- نيـل ولايـة الله الخاصـة: لقولــه تعــالى: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ) (يونس٦٢-٦٤)

فـلا ولايـة بغـير الإيمـان باللّـه.. إذ الـولاء حـب وطاعـة وعبـادة.. ولا حـب إلا بعد معرفة

ثـم إيمـان.. ثـم طاعـة وعبـادة.. ولا تتحقـق الولايـة للّـه إلا بمراقبتـه واتقـاء محارمه والتوكل عليه والرجاء فيه وقطع كل رغبة فيما سواه.

٤- أن الله يـدفع عـن المـؤمنين جميـع المكـاره: وينجّــيهم مــن الشــــدائدَ (ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ) (الحـــج ٣٨).. فيربط على قلوبهم ويثبـت أقـدامهم علـى طريـق الهـدى ويمـدهم بالصـبر علـى احتمال المكاره.

D- إن صلاح وكمـال جميـع الأعمـال والأقـوال: بحســب مــا يقــوم بقلـبِ صـاحبها مـن الإيمـانِ والإخـلاص لقولـه تعـالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ)(الأنبياء ٩٤)

(هـذا هـو قـانون العمـل والجـزاء.. لا جحـود ولا كفـران للعمـل الصـالح متى قـام علـى قاعـدة الإيمـان.. وهـو مكتـوب عنـد اللّـه لا يضـيع منـه شـيء

ولا يغيب.. ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته.. بل ليثبت للعمل الصالح وجوده ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته بل لتثبت للإيمان حقيقته.. إن الإيمان هو قاعدة الحياة لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وهذا الوجود والرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد وترده إلى الناموس الواحد الذي ارتضاه ولا بد من القاعدة ليقوم البناء والعمل الصالح هو هذا البناء.. فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته)[18]... وهذ ما أكده الله تعالي في قوله: (ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ) (الفرقان٢٣)

٦- محبة الله عزوجل: لقوله تعالى: (ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ) (مريم٩٦)... عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: **(إن الله عزوجل إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه.. قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه.. قال: فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض).** (رواه مسلم ٦٨٧٣)

إن منزلة المحبة لهي باب صحبة الملأ الأعلي في السماء وعنوان القبول في الأرض.. فيا لجمال الإنس ويا لجلال القرب.

٧- الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا**

[18] فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٣٩٧

يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)[19].

٨- الإيمان هو الطريق إلى الرضا: فالمؤمن راض عن نفسه وعن وجوده ومكانه في الكون لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة ولا كمًّا مهملا ولا شيئا تافها بل هو قبس من نور الله ونفخة من روح الله وخليفته في أرض الله وهو راضٍ عن ربه لأن آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمئنَّ إلى علمه وحكمته أحاط سبحانه بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة، لم يخلق شيئا لهوا، لم يخلق شيئا سُدى، له الملك وله الحمد، نعمه عليه لا تُعد، وفضله عليه لا يُحد، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه.

٩- الهداية إلى الحق: وإلي الصراط المستقيم (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ) (الحج٥٤)

١٠- الفوز برضى الله: ودارِ كرامته (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ) (التوبة٧٢)



---

[19] متفق عليه.. رواه البخارى (٢٤٧٥) ومسلم (٢١١)

١- معرفــة أســماء الله الحســنى الـــواردة في الكتـــاب والســـنة والحرص على فهم معانيها والتعبد لله بها:

إن معرفــة الأســمــاء الحســنى هــي أصــل الإيمــان والإيمــان يرجــع إليهــا.. فكلمــا إزداد العبــد معرفــة بأسمــاء الله وصــفاته إزداد إيمانــه وقــويّ يقينــه.. فينبغــي للمــؤمن أن يبــذل مقــدوره ومســتطاعه في معرفــة الأســمــاء والصــفات وتكــون هــذه المعرفــة متلقــاه مــن الكتــاب والســنة ومــا روى عــن الصــحابة والتابعين لهم بإحســان.. فهــذه المعرفــة النافعــة تجعــل المــؤمن في زيــادة في إيمانــه وقوة يقينه وطمأنينة في أحواله.

٢- تدبر القرآن الكريم:

القرآن الكــريم هــو أفضــل وســيلة لزيــادة الإيمــان كمــا قــال تعــالى(ڤ ڤ ڤ ج ج چ) (الأنفال٢)

وهكــذا المــؤمن إذا تلــى آيــات اللّــه أو تُليــت عليــه خشــع لهــا وأشــرق قلبــه بنورها فازداد بــذلك إيمانــا علــى إيمــان ثــم انتهــى بــه ذلــك إلى أن يكــون عبــدا ربّانيــا يســلم أمــره كلــه لمــن بيــده الأمــر كلّــه.. (فــإذا أردنــا أن نعــرف تلاوتنــا ونتبصر بها فلننظــر إلــي نتائجهــا ونهايتهــا.. فــإذا هــي أثّــرت في هــذه النفــوس فآبــت إلــي رشــدها وأعرضــت عــن غيهــا وذكــرت مــا قامــت بــه مــن عقــوق وذكرت مــا عليهــا مــن حقــوق لله وللنــاس فأصــلحت عقوقهــا وأدت حقوقهــا

[٢٠] لمزيد من الأسباب راجع كتاب الإيمان بالله ص ١٣٩ -١٥١ د. علي الصلابي فقد استفدت منه كثيرا

وزال ما فيها من شك وريب وحاولت أن تصلح كل نقص وعيب وهذا كله دليل وعلامة علي زيادة الإيمان كانت تلاوة المتدبر الذاكر)[21]

٣- التفكر في الكون والنظر في الأنفس:

(إن التفكر في الكون وفي خلق السموات والأرض وما فيهن، من المخلوقات المتنوعة والنظر في الإنسان وما هو عليه من الصفات يقوى الإيمان لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدّال على قدرة خالقها وعظمته وما فيها من الحسن والإنتظام والإحكام الذي يحير الألباب الدال على سعة علم الله وشمول حكمته وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى الدالة على سعة رحمة الله وجوده وبره وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره واللهج بذكره، وإخلاص الدين له وهذا هو روح الإيمان وسره) [22]

٤- الإكثار من ذكر الله في كل وقت:

إن ذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه.. كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر.. فمن أحب الله أكثر من ذكره ومحبة الله هي الإيمان بل هي روحه.

فيا قلبي العليل..

[21] خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة ص ٨٩ د. فضل عباس

[22] شجرة الإيمان ص ٥٠ الشيخ عبد الرحمن السعدي

الإيمـان.. دواؤك الشـافي لكـل ماتعانيـه مـن الحـيرة والإضـطراب.. فلمـاذا أعرضت عنه؟

الإيمان.. زينتك التي تتجمل بها.. فبأي شيئ زينت قلبك؟

الإيمان.. له حلاوة لذيذة وطعم حلو.. فهل ذقت حلاوته؟

الإيمان.. نـور مشـرق مضـيء يـنير حياتـك فيجعلـها سـعيدة هانئـة.. فلمـاذا آثرت البقاء في الظلمات؟!

الإيمان.. إذا فقدتـه أصـبحت كالريشـة في مهـب الـريح لا تسـتقر علـى حـال ولا تسكن إلى قرار لا تعرف حقيقة نفسك ولا سر وجودك..

الإيمـان.. حصـنك فـاحتم بـه.. ودرعـك فـإحرص عليـه.. وطـوق النجـاة فتشبث به.

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللـهم ارزقـني إيمانـاً صـادقاً يباشـر قلبـى حتـى أعلـم أن مـا أصـابني لم يكـن ليخطئني وما أخطأني لم يكن ليصيبني.

اللـهم حبـب إلينـا الإيمـان وزينـه في قلوبنـا.. وكـره إلينـا الكفـر والفسـوق والعصيان.. واجعلنا من الراشدين.

قلب ينهل من معين اليقين

• ما الذي يجعل إنسان يسارع في الإنفاق في سبيل الله لا يخشي الفقر.. وآخر يبخل بماله ويفكر مائة مرة قبل إنفاقه؟

• ما الذي يجعل إنسان يتعامل مع الدنيا علي أنها دار ممر وليست مستقر فيتزود منها لآخرته.. وآخر غارق في حبها مشغول بمتاعها يتنافس في شهواتها ولا يكاد يفكر في آخرته؟

• ما الذي يجعل إنسان إذا أصابته مصيبة استقبلها بالرضا والتسليم والإذعان لله عزوجل.. وآخر يسيطر عليه الجزع والفزع ويستبد به السخط والهلع؟

• ما الذي يجعل إنسان يسعي إلي رزقه ويكدح في حياته ولكن بإجمال واعتدال.. وآخر يلهث أثناء الليل والنهار لا يشعر بهدوء بال ولا راحة نفس وإذا حصل علي المزيد ازداد همًا وهمًا؟

♦ إنه اليقين.. وما أدراك ما اليقين؟

♦ إنه اليقين الذي يرتقي بالقلب من حمأ الطين إلى أعلى عليين..

♦ إنه اليقين يسمو بالقلب إلى ما لم يكن يطمع إليه الخيال..

♦ إنه اليقين يملأ القلب نورًا وينفي عنه غبار الشك ويمسح ضباب التردد وينفخ في عالم الإنسان الداخلي أنسامًا تفوح بالسرور والإطمئنان والروح والريحان..

- إنه اليقين إذا وصل إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً وانتفى عنهُ كلُّ ريبٍ وسخط وهمٍ وغم.. فامتلأ محبةً لله وخوفاً منهُ ورضىً به وشُكراً له وتوكّلاً عليه وإنابةً إليه فهو مادةُ جميع المقامات والحامل لها..
- إنه اليقين الذي جعل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: والله لو انكشفت لى السماء فرأيت الجنه والنار ما ازددت بهما يقينا..
- إنه اليقين الذي جعل الصحابي الجليل حرام بن ملحان رضي الله عنه – حين طعن في ظهره غدرًا يوم حادثة بئر معونة – جعله يهتف (فزت ورب الكعبة)

ألا ما أروع اليقين!

ما أعظم اليقين يمنحنا الثبات والعزم والقوة في مسيرنا إلى الله.

 حقيقة اليقين في عيون الصالحين:

١- قال الجُنَيْد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يُحوَّل ولا يتغيَّر في القلْب.

٢- وأورد الجرجانيُّ في تعريفاته أنَّ اليقين هو طُمأنينة القَلْب على حقيقة الشيءِ وتحقيق التصديق بالغَيْب بإزالة كلِّ شكٍّ ورَيْب.

٣- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله عن منزلة اليقين: (اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وهو مع المحبة ركنان للإيمان، وعليهما ينبني وبهما قوامه، وهما يُمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية وعنهما تصدر.. وبضعفهما يكون ضعف الأعمال، وبقوتهما تقوى الأعمال، وجميع منازل السائرين إنما تُفتتح بالمحبة واليقين وهما يثمران كل عمل صالح، وعلم نافع، وهدى مستقيم).

وخلاصة القول:

اليقين مشاهدة الإيمان بالغيب.. فكما أن العين تشاهد الحقائق الماثلة أمامها في العالم المشهود عالم الشهادة.. فإن اليقين هو مشاهدة الغيب بالقلب وهو ظهور الشيء للقلب بحيث يصير نسبته إليه كنسبة المرئي إلى العين.. فلا يبقى معه شك ولا ريب أصلاً.. وهذا نهاية الإيمان وهو مقام الإحسان.. فإذا وصل القلب إلى هذه المرتبة وإلى هذا المستوى فإنه يكون قد تيقن وارتقى العبد بإيمانه وصار بمنزلة عالية قد توصله عند الله عز وجل إلى أعلى المنازل.

درجات اليقين: ينقسم اليقين إلى ثلاثة أقسام:

١- علم اليقين: وهو قبول ما ظهر من الحق سبحانه من أوامره ونواهيه ودينه وشرعه الذي ظهر لنا منه وعلمناه بواسطة رسله فنتلقاه بالقبول والتسليم والإنقياد.. وقبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب

الذي أخبر به الله سبحانه على لسان رسوله من أمور المعاد كالجنة والنار وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب وما قبل ذلك من أمور البرزخ وعذاب القبر ونعيمه.. فقبول هذا كله إيماناً وتصديقاً هو علم اليقين بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا ريب.. والوقوف على ما قام بالحق سبحانه من أسمائه وصفاته وأفعاله، ونعوت كماله، وتوحيده.

وهذه الثلاثة أشرف العلوم: علم الأسماء والصفات والتوحيد.. وعلم الأمر والنهي.. وعلم المعاد واليوم الآخر.

٢- **عين اليقين:** وهو رؤية الشيء عياناً.. فعلمنا الآن بالجنة والنار علم يقين فإذا أزلفت الجنة للمتقين وشاهدها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك عين اليقين.

٣- **حق اليقين:** وهي أعلى درجات اليقين وهي مباشرة الشيء والإحساس به كما إذا أدخل أهل الجنة الجنة وتمتعوا بما فيها من ألوان النعيم وأدخل أهل النار النار وذاقوا ما فيها من ألوان العذاب فذلك حينئذ حق اليقين.

فعلم اليقين بالقلب، وعين اليقين بالبصر، وحق اليقين بالمباشرة والتذوق والإحساس ومعرفة القلب ورؤية البصر.



النظر إلى الله في كل شيء.. والرجوع إليه في كل أمر.. والاستعانة به في كل حال.. والإلتفات إليه في كل نازلة.. والأنس به في كل وقت.. وإرادة وجهه في كل حركة وسكون.. وعدم الالتفات عنه إلى غيره في كل حال... فإذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء عنده مصيبة لأن البلاء يرده إلى معبوده والرخاء يشغله عن معبوده غالباً.

اختبار اليقين: [٢٣]

كيف يُختبر اليقين؟ ما هو المحك الذي يتبين به رسوخ الإيمان وثباته في قلب الإنسان؟ هناك مواقف يتبين العبد حاله فيها ومرتبته في هذا الباب ومن هذه المواقف والمواطن:

١- موقف التوبة:

فالعبد الذي قد كمل اليقين في قلبه لا يتردد إذا وقع منه تقصير أو ذنب أو زلة فإنه يبادر إلى التوبة من غير تردد ويرجع إلى الله عزوجل وينيب إليه لأنه يعلم أن ثمة يوماً سيحاسب فيه على القليل والكثير والدقيق والجليل وسيؤاخذ بجرمه فلا تردد عنده في التوبة.. وأما من ضعف يقينه فيحتاج إلى تحريك القلب بعرض ألوان من المواعظ والعبر والأمور المُرقِّقة لقسوة قلبه والأمور التي تزيل عن هذا القلب الغشاوة والغفلة فيتحرك قلبه ويلين ويرق للتوبة فيكون ذلك مُوَطِّئًا لها، ولربما احتاج إلى إقناع،

[٢٣] من محاضرة اليقين للشيخ خالد السبت

ولربما احتاج إلى مُسَايَسَة ومُداراة وطول صحبة من أجل أن تصلح حاله ويتوب ولربما وعد بالتوبة ثم بعد ذلك تراجع ويتردد.

٢- موقف المصيبة:

كثير من الناس يحسن الكلام عن الصبر وعن الثبات وعن الإيمان وعن الجزاء الذي يعطيه الله عز وجل للصابرين في الدارالآخرة وما أعد لهم من النعيم المقيم، ولكنه إذا وقعت المصيبة اضطرب وتحرك قلبه فجزع ولم يثبت ولم يصبر وإنما كان متسخطاً على ربه تبارك وتعالى معترضاً على أقداره...

فمن كان متحققاً باليقين فإنه عند المصيبة يكون رابط الجأش ثابتاً، صابراً، حابساً للسانه عن التسخط ولجوارحه عن فعل ما لا يليق.

٣- في حال الحاجة:

فإذا احتاج العبد وافتقر إلى المخلوقين أو احتاج إليهم في شئ من الأشياء في دنياهم فإنه بذلك يختبر يقينه.. فإذا كان قلبه يتلفت إلى المخلوقين ويتطلع إليهم ويتعلق بهم لينال ما عندهم فإن قلبه لم يتحقق باليقين بَعْدُ.. وأما إذا كان قلبه متوجهاً إلى الله وحده لا شريك له لا يلتفت إلى أحد من المخلوقين ولا يتعلق بهم فإن هذا اليقين هو اليقين الكامل.



من ثمرات اليقين:

١- سكينة القلب وطمأنينته:

إن القلب العامر باليقين يرتفع عنه السخط والهم والغم الذي يجلبه الشك والريب فيمتلأ قلبه محبة لله، وخوفاً منه، ورضاً به، وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه.. بخلاف الريب والشك والتردد، فإنه يورث في القلب قلقاً وضجراً وألماً.

٢- الوصول إلي الهدى والفلاح في الدنيا والآخرة:

(ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ) (البقـــــــــــــرة٤-٥)..

فاليقين هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ومن يعيش في الوجود المديد الرحيب.. بين من يشعر أن حياته على الأرض هي كل ما له في هذا الوجود.. ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء وأن الحياة الحقيقية إنما هي هنالك وراء هذا الحيز الصغير المحدود.

٣- الزهد في الدنيا وقصر الأمل:

فالقلب المؤمن يوقن أن الحياة الدنيا دار إبتلاء يتمازج فيها الخير والشر وأنه فيها كالمسافر يحتاج إلى مثل زاد الراكب ثم بعد ذلك يجتاز ويعبر إلى دار المقام.

٤- الانتفاع بالآيات والبراهين: (ڳ ں ں ڻ)(الذاريات ٢٠)

وفى قوله تعالى (ڻ) إشارة إلى أنه لا ينتفع بتلك الآيات الكونية ولا يقع على مواقع الهدى منها إلا أهل اليقين الذين يطلبون العلم والمعرفة

بالبحث الجادّ والنظر المتفحص فإذا وقع لهم من ذلك علم كان علمهم عن برهان وحجة فيقع منهم ذلك العلم موقع التثبت واليقين.

D- الرضا بقضاء الله عز وجل وقدره:

(ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) (التغابن١١)

وهكذا حال القلب الموقن فهو(يحس يد الله في كل حدث ويرى يد الله في كل حركة ويطمئن قلبه لما يصيبه من الضراء ومن السراء.. يصبر للأولى ويشكر للثانية وقد يتسامى إلى آفاق فوق هذا فيشكر في السراء وفي الضراء إذ يرى في الضراء كما في السراء فضل الله ورحمته بالتنبيه أو بالتكفير أو بترجيح ميزان الحسنات أو بالخير على كل حال) [٢٤]

٦- التوكل على الله عز وجل:

إن اليقين بشمول علم الله وكمال حكمته وسعة رحمته وعموم قدرته وطلاقة مشيئته وانه أعلم بمصالح عباده من ذواتهم (ٻ ٻ ٹ ٹ ٹ ٹ) (الملك ١٤) يورث في القلب حسن التوكل علي الله وقوة الصلة به.

U- المسارعة والمسابقة في الخيرات:

فإن القلب إذا استيقن ما أمامه من كرامة الله وما أعدّ لأوليائه بحيث كأنه ينظر إليه من وراء حجاب الدنيا ويعلم أنه إذا زال الحجاب رأى ذلك عياناً زالت عنه الوحشة التي يجدها المتخلفون ولان له ما استوعره المترفون.

---

[٢٤] في ظلال القرآن ج٦ ص٣٥٨٨

٨- اليقين يطرد شبح اليأس:

اليقين يبدِّد ظلام القلق ويطرد شبح اليأس ويضيء الصدر بالأمل والظفر ويبث في النفس الثقة بالغد.. الثقة بالمستقبل.. الثقة بأن فرج الله آت.. الثقة بأن الله سبحانه و تعالى لا يخلف وعده.. الثقة بأن الله ناصر عبده المؤمن.. الثقة بأن بعد الضيق السعة وبعد العسر اليسر وأن وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف لا بد من أن يتحقق.

الطريق إلى اليقين: [٢٥]

إن اليقين الكامل يحصل للعبد بأمرين هامين:

الأول: أن يعلم العبد بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تصريف ولا تدبير لجميع المخلوقات إلا بأمر الله وحده، فكل المخلوقات والموجودات ليس بيدها شيء.. والأشكال والأسباب والبواعث والنتائج لا تأتي ولا تحصل ولا تفعل إلا بأمر الله وإذنه وإرادته سبحانه، ولا ينفع شيء في الكون ولا يضر إلا بإذن الله، وهذا هو معنى (لا إله).

الثاني: أن يتيقن العبد أن الله هو القادر وحده لا شريك له، وأن قدرته

---

[٢٥] راجع ما كتبناه في الطريق إلي قوة الإيمان بالإضافة إلي:

١- الإقبال على الطاعات والتزود منها قدر المستطاع والإبتعاد عن المعاصي
٢- الإقبال على العلم
٣- مصاحبة الموقنين والاستماع لمواعظهم
٤- التفكر في الآخرة وأحوالها وأهوالها
٥- الدعاء الخالص

مطلقة، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يحتاج لغيره في إرادته وأفعاله، وأنه خالق كل شيء، وبيده الأمر كله، وهو المعبود الذي يستحق العبادة وحده دون سواه وهذا هو معنى (إلا الله).

منارات على الطريق:



لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه من مكة إلي المدينة واحتما بالغار وكان المشركون واقفين علي فم الغار يتحدثون بمسمع من رسول الله وصاحبه وكان الصدّيق شديد الخوف علي رسول الله حتى قال: (يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك بإثنين الله ثالثهما؟).. ونزل قوله تعالي (ۀ ہ ۂ ۃ ۄ ھ ه ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ) (التوبة٤٠)

يا لروعة اليقين.. يا لعظمة الإيمان.. في هذا الجو المخيف المرعب وهذه اللحظة العصيبة.. وعندما أغلق الباب وأحاط الأعداء بكل جانب وسلوا سيوف الموت يريدون أزكى نفس وُجدت وأطهر روح خُلقت.. في هذه اللحظة يرسل النبي إلي صاحبه رسالة رقيقة هادئة باسمة حانية نصها: (ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ).. فصار الحزن سروراً والهم فرجاً والغم راحة والهزيمة نصراً عزيزًا.

عمير بن الحمام.. صيحة المشتاقين:

لما التقى المسلمون والمشركون في غزوة بدر الكبري وتداني الجمعان وكادت الصفوف تختلط قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **(قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)**. فقال عمير بن الحمام الأنصاري يستطعم قول النبي ويستحلي مذاقه لشده شوقه إلي الجنة وما فيها من الرضوان الأكبر: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض!.. فقال النبي: **(نعم)**.. فقال عمير متعجبًا من عظم ما أعد الله لصادقي الإيمان من عباده المخلصين وقد هزه الوجد وتملكه الحب: بخٍ بخ (كلمة بمعني تعظيم الأمر وتفخيمه).. فقال له رسول الله: **(ما حملك على قول: بخٍ بخٍ؟)** فقال عمير: لا والله يا رسول الله، إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها.. فقال له رسول الله: **(فإنك من أهلها)**.. فأخرج عمير تمرات كنَّ في قرنه (جيبه) فجعل يأكل منهنَّ ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة.. فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتل المشركين حتى قتل).

فأي يقين هذا الذي وقف بعمير بن الحمام هذا الموقف الذي تعجز الحياة أن تأتي مثله؟ وتعجز الأقلام والألسن عن تصويره؟.. إنه اليقين عندما يستحوذ علي المشاعر ومداخل الحس فتطير القلوب شوقا إلي الجنة.

دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم إنا نسألك يقينا لا يهتز وإيمانًا لا يرتد ونسألك بصيرة تجعل الغيب عندنا شهادة ونسألك مخافة النار كأننا نراها ونسألك شوقا الى الجنة يعادل شوق من عاينها.

اللهم هب لنا يقيناً بك حتى تهون علينا مُصيبات الدنيا.. وحتى نعلم أنه لا يُصيبنا إلا ما كُتب علينا.. ولا يأتينا من هذا الرزق إلا ما قسمت لنا به.

قلب يغتسل في أنهار التوبة

(ليس عجيبًا أن يُذنب ابن آدم.. ليس عجيبًا أن يتورط في المعصية.. فهذه طبيعة خلقه أنه خُلق خلقا مزدوجا فيه قبضة من طين وفيه نفخة من روح.. الطين يهوي به الى الأسفل والروح ترقى به إلي الأعلى.. أحيانا ينزع الى الطين ويخلد الى الأرض فيكون كالحيوان وأضلُ سبيلا.. وأحيانا يعلو ويعلو حتى يكون كالملائكة أو أرفع مقاما... فلا عجب أن يغلب الطين في بعض الأحيان على الروح.. أن يغلب العنصر الأرضي العنصر السماوي.. أن يغلب العنصر الحيواني في الانسان العنصر الرباني فيه فيقع في المعاصي.

ليس عجيبا أن يذنب ابن آدم فقد أذنب أبوه آدم.. إنما العجيب أن يتمادى في الذنوب.. أن يستمرئ طريق المعصية ويتوغل فيه.. أن ينسى ربه وينسى التوبة إليه فتتراكم عليه الذنوب وتتراكم حتى يسود قلبه والعياذ بالله.. وهنا الخطورة البالغة.. الخطر أن يغفل الانسان عن التوبة ويستمر في طريق الشيطان ولا يحس بما هو فيه من خطأ وخطيئة)[26].

رباه.. ما أجمل التوبة.. عودة غانمة.. وتجارة رابحة.. وروضة غناء لا يذبل زهرها.. إنها شلال الجمال المتدفِّق من كوثر الرّحمن الفواح بأريج عطاء الله وكرمه.. إنها (غسل القلب بماء الدموع وحرقة الندم.. فهي حرقة في الفؤاد ولوعة في النفس وانكسارٌ في الخاطر ودمعة في العين.. إنها

---

[26] خطب الشيخ القرضاوي ج ١ ص ٣٤ – ٣٥ بتصرف

مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين وأول أقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين)[٢٧].

لله دُر القلب التائب.. هرع إلى مولاه يحمل مواجيد الندم ومشاعر الألم يرجو رحمته وغفرانه.. (لكأن التوبة نهرٌ عذب جار يتطهر العبد به من أدرانه.. ينغمس في مياهه مَنْ لوثته الشهوات واكتوى بنار المخالفات فإذا النهر مغتسلٌ باردٌ يطفئ تلك النار ويغسل تلك الأوزار فيخرج العبد منه نقياً من الأوساخ والشوائب)[٢٨].

أخي.. قل لي بربك...

هل شممت مسكاً أزكى من أنفاس التائبين؟ هل سمعت بماء أعذب من دموع النادمين؟ هل رأيت لباساً أجمل من لباس المنكسرين؟

هل سمعت نداءً أجمل وأروع من نداء الله عزوجل الرحيم لعباده المذنبين العصاة.

(ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)(الزمر ٥٣)

(إن الغرقى إذ يسمعون هذا النداء الكريم ليرون بأعينهم رأى العين مراكب النجاة تحفّ إليهم من كل جهة وليس عليهم إلا أن يتعلقوا بها ويشدّوا أيديهم عليها لتحملهم إلى شاطئ النجاة والسلامة.. إنها ضيافة كريمة فى ساحة رب كريم.. وإنها نُزل مهيأة بكل أسباب الهناءة

---

[٢٧] الله أهل الثناء والمجد ص ٦٠ د. ناصر الزهراني

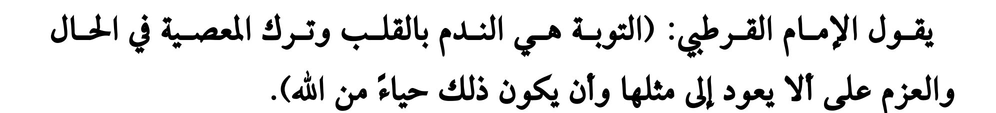
[٢٨] مقال التوبة أحمد الحموي

والرضوان يستقبل فيها على طريق الحياة أولئك الذين أضناهم السفر الطويل وأكلت وجوههم لوافح الهجير.. فيجدون حيث ينزلون ظلا ظليلاً وطعامًا هنيئًا وشرابًا باردًا.

فقل لمن يرى هذا المنزل الكريم ويعدل عنه: ألا ما أعظم غباءك وما أشأم حظك وما أولاك بالذئاب تفترسك وبالحيات تنهشك فلا يرحمك راحم ولا يبكيك باك.. من قريب أو صديق!

فأى عذر لمذنب بعد هذا البلاغ المبين اذا هو لم يسع إلى اللّه ويغتسل فى بحر رحمته من أدرانه ويتطهر من ذنوبه؟.. وأي عذر لمجرم بعد هذا النداء الكريم الرحيم إذا هو لم يمدّ يده إلى ربّه ليقيل عثرته ويحمل عنه وزره؟)[٢٩]

يا للكرم الإلهي.. ويا للإنعام الرباني.. عرف سبحانه ضعفهم.. عرف تسلط الغرائز عليهم.. عرف وسوسة الشيطان لهم.. عرف أن الإنسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يُغري بالشرور.. وكثيرا ما يتورط في الآثام.. وكثيرًا ما تزل قدمه فيطيع الشيطان ويسير في ركابه.. عرف الله ذلك من عباده ففتح لهم باب التوبة.



حقيقة التوبة في عيون الصالحين:

يقول الإمام القرطبي: (التوبة هي الندم بالقلب وترك المعصية في الحال والعزم على ألا يعود إلى مثلها وأن يكون ذلك حياءً من الله).

[٢٩] التفسير القرآني للقرآن د. عبد الكريم الخطيب

ويقول الإمام ابن القيم: (التوبة هي الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره فهي رجوع من مكروه إلى محبوب).

وعرفها الإمام الغزالي بأنها: (العلم بعظمة الذنوب والندم والعزم على الترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي).

إن للتوبة روحاً وجسداً.. فروحها استشعار قبح المعصية وجسدها الإمتناع عنها.. فإذا اقتصرالقلب على المعرفة ولم يعمل بمقتضاها واستمر ماشياً في الطريق المنحرف لم ينفعه علمه بانحرافه.. بل إنه يكون أكبر ذنباً وأعظم تبعة.. لأن الذي ينحرف وهو لا يعرف له بعض العذر.. ولكن الذي يعرف الطريق وينحرف عنه عمداً لا عذر له.

أركان التوبة:

١- الندم علي ما فرط العبد في جنب الله:

والندم انفعال القلب بالأسى والحزن والحسرة بسبب ما وقع من ذنب خوفاً من سوء عاقبته عند الله أوحياءً من الله.. إذا تذكر عظيم ذنوبه وكثير خطئه هاجت عليه أحزانه واشتعلت حرقات فؤاده وأسبل دمعه فأنفاسه متوهّجة وزفراته بحرق فؤاده متصلة إنه الشعور بالتقصير أمام الله عزوجل.. يستجمع الإنسان في ذاكرته إساءته إلى الله وإحسان الله تعالى إليه.. يتذكر نعم الله تعالى عليه ويتذكر معصيته لله عزوجل فينشأ من ذلك حالة الندم.. حالة الأسي والأسف التي يذوب فيها القلب كما يذوب الملح في الماء.

٢- الإقلاع بالفعل عن الذنب:

وهذا هو الركن الثاني في التوبة: أن يترك المعصية في الحال من غير إبطاء أو تسويف

فإذا كان الندم الذي حصل في قلبه يمثل توبة القلب أو توبة الباطن.. فإن توبة الظاهر حقيقتها أن يترك ممارسة المعاصي بجوارحه.. فكما تاب قلبه بالندم تتوب جوارحه بترك المعصية.. فإن من صلح قلبه صلحت جوارحه.

٣- العزم المصمم ألا يعود إلى الذنب:

لا توبة إلا بهذا العزم.. أما إذا كان يتوب وهو يحن إلى المعصية ولا يزال في قلبه تعلق بها ولا زال عقله يفكر فيها فهذه ليست توبة.. لابد أن يكون ساعة التوبة قاطع العزم كحد السيف مصرا على ألا يعود إليها كما لا يعود اللبن إلي الضرع إذا خرج منه

قد يضعف بعد ذلك.. قد تخونه إرادته.. قد يغلبه هواه.. قد يصرعه شيطانه ويهزمه.. فالمعركة بين الخير والشر مستمرة ولكن المهم ساعة التوبة يكون عازما عزما أكيدا ألا يعود إلى الذنب (ڦ ڦ ڤ ڤ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ) (آل عمرن ١٣٥)

وكيف لا يعزم هذا العزم وهو يعلم أنه مع الذنوب كان متعرضًا لعذاب الله في نيران الجحيم يوم القيامة؟.. وأنه كان علي شفا حفرة من النار فأنقذه الله منها بالتوبة.. (وإنه ليكاد يصرخ بأعلى صوته: وداعاً..

بـل بُعـداً لـك يـا دنيـا المعاصـي ولا لقـاء بيننـا بعـد اليـوم يـا دنيـا الهـوى والشهوات.. وكم أنـا سـعيدٌ بهـذا الصـلح مـع الله سـبحانه مـع ربـي الـذي لا غنى لي عنه طرفة عين وهو الغني عني وعن خلقه أجمعين)[٣٠].

من ثمرات التوبة: [٣١]

1- تكفير السيئات ودخول الجنات:

(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ
ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ)(التحريم ٨)

في هـذه الآيـات دعـوة إلى المـؤمنين عامـة أن يتوبـوا إلى اللّـه وأن يرجعـوا إليه كلّمـا بعـدوا قلـيلاً أو كـثيرًا عنـه بمـا اقترفـوا مـن آثـام ومـا اجترحـوا مـن سـيئات.. فـإن التوبـة تغسـل الحوبـة وهـى الأسـلوب الـذي يصـالح بـه العبـد ربّه ويفتح به أبواب رحمته ورضوانه.

2- تجديد الايمان:

فالتوبـة الصـادقة تجـدد الإيمـان وترممـه بعـدما نالـت منـه الخطايـا مـا نالـت.. فهي تقويه بعد ضعف.. وتوقظـه بعـد رقـود.. وتثبتـه بعـد زعزعـة بمـا تضـيف إليه من أشواق ومشاعر حية وجديدة تحفز إلي الخير وتزجر عن الشر.

3 - تبديل السيئات إلى حسنات:

---

[٣٠] مقال التوبة أحمد الحموي

[٣١] راجع ما كتبه د. يوسف القرضاوي في كتابه القيم التوبة إلي الله

وهـــــو قولــــــه تعــــــالى (ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ) (الفرقان٧٠) فـأي جـود هـذا وأي كـرم؟ وأي رحمـة وأي غفـران؟ إنـه الله رب العـالمين الـرحمن الـرحيم! فسـبحانه وبحمـده مـن ملـك غفـور رحـيم وإن هـذا لبابٌ عظيم.. باب من أوسع أبواب الرحمة الإلهية.

4- إغاظة الشيطان والإنتصار عليه:

كلمـا أوقـع الشـيطان اللعـين بـني الإنسـان في بـراثن الـذنوب قـرت عينـه وغمرته الفرحة

وكلمـا اسـتنارت بصـائرهم واسـتيقظت ضـمائرهم بعـد المعصـية فتـابوا إلـي الله واستغفروه أدركته الحسرة وركبه الغم لضياع جهده سدي.

D- انكسار القلب:

إن التائب تحصل لـه كسـرة خاصـة لا تكـون لغـير التائـب.. كسـرة تامـة قـد أحاطـت بالقلـب مـن جميـع الجهـات.. ألقتـه بـين يـدي سـيده طريحًـا ذلـيلاً خاشعًا.. منكسـرًا سـريع الدمعـة.. قريـب الـذكر لله.. محبتًـا خاشـعًا منيبًـا.. لا غـــرور ولا عجـــب ولا حـــب للمـــدح.. ولا معـــايرة ولا احتقـــار للآخـــرين بذنوبهم.. وإنما دائم الفكرة في الله سبحانه وتعالى عز وجل

وهـذ مـا قـرره ابـن عطـاء فقـال: (رب معصـية أورثـت ذلاً وانكسـاراً خـير مـن طاعـة أورثـت عـزاً واسـتكباراً).. فمـا أقـرب الجـبر مـن هـذا القلـب المكسور!.. وما أدني النصر والرحمة والرزق منه!

٦- فرح الله بالتائب:

إنها الفرحة الكبري التي لا نجد في تصويرها والتعبير عن مداها أبلغ من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي رواه عنه ابن مسعود أنه قال: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة (قفر لا ماء فيها) فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه.. فأيس(يئس) منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها (ما يوضع علي أنف الدابة لتقاد به) ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك.. أخطأ من شدة الفرح) (رواه مسلم ٢٧٤٧) أخي في الله... (ألا يُبهرك هذا الترحاب الغامر؟!.. أترى سرورا يعدل هذه البهجة الخالصة؟!

وطبيعي أن تكون هذه التوبة نقلة كاملة من حياة إلى حياة وفاصلاً قائمًا بين عهدين متمايزين كما يفصل بين الظلام والضياء.. فليست هذه العودة زورة خاطفة يرتد المرء بعدها إلى ما ألف من فوضى وإسفاف.. وليست محاولة فاشلة ينقصها صدق العزم وقوة التحمل وطول الجلد.. كلا.. كلا.. إن هذه العودة الظافرة التي يفرح الله بها هي انتصار الإنسان على أسباب الضعف والخمول وسحقه لجراثيم الوضاعة والمعصية وانطلاقه من قيود الهوى والجحود ثم استقراره في مرحلة أخرى من الإيمان والإحسان والنضج والاهتداء)[٣٢].

U- محبة الله تعالى: (ۋ ۆ ۇ ۇ ۆ ۈ)(البقرة ٢٢٢)

---

[٣٢] الجانب العاطفي من الإسلام ص ١٦١- ١٦٢ الشيخ محمد الغزالي

الطريق إلى التوبة:

١- معرفة مقام الله عز وجل واستشعار مراقبته:

فالإنسان إذا عرف مقام الله تعالى وتذكر جلاله وعظمته، وعلمه به، وقدرته عليه، وأنه مطلع على سره وعلانيته، وأنه لا يخفى عليه خافية وأنه محاسبه علي ما قدم ومجازيه علي ما عمل من خير أو شر.. إذا عرف ذلك وذكره ولم ينسه فسرعان ما يرجع إلي ربه سبحانه تائبًا مستغفرًا.

٢- معرفة آثار المعاصي وأضرارها: [٣٣]

وهي متفاوتة بحسب تفاوت المعاصي في درجاتها ومفاسدها:

- فمنها سواد في الوجه وظلمة في القلب وضيقه وهمه وغمه وحزنه وألمه وشدة قلقه واضطرابه وتمزق شمله وضعفه في مقاومة عدوه وتعريه من زينته بالثوب الذي جعله الله زينة له وهو ثوب التقوى.
- ومنها نقصان رزقه.. فإن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه أو يحرم بركته.
- ومنها أن يحرم حلاوة الطاعة فإذا فعلها لم يجد أثرها في قلبه من الحلاوة والقوة وزيادة الإيمان والرغبة في الآخرة فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولابد.

---

[٣٣] راجع كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم فهو فريد في بابه

- ومنها قسوة القلب فما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.
- ومنها أن المعصية تورث الذل ولابد.. فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى.
- ومنها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمع.

٣- تذكر الموت:

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها.. ذلك لأن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة.. وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى وقد تقصر فى الطاعات فإذا كان الموت دائما على بال العبد يجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره.

٤- تذكر اليوم الآخر:

وما أعد الله فيه للطائعين من الثواب وما أعد فيه للعاصين من العقاب.

D- قراءة سير التائبين وقصصهم:

فهذا فيه تثبيت لك على طريقهم والسير على دربهم.

٦- الحذر من العوائق التي تقف في طريق التوبة:

وهي كثيرة منها:

التسويف: (وما مثل المسوف إلا كمثل من احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة جلية فقال: أدخرها سنة، ثم أعود

لأقتلعها.. وهذا من حماقته وغبائه فهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه.. فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف.. فكيف ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف؟!) [٣٤]

الإستهانة بالذنوب: وهذا ما نبهك إليه بلال بن سعد رحمه الله فقال:(لا تنظر إلي صغر الخطيئة ولكن انظر إلي عظم من عصيت)

الإتكال على أماني العفو الإلهي: وهذا ما حذر منه الحسن البصرى فقال: (إن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة.. يقول أحدهم إنى أحسن الظن بربى وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل).

الجهل بحقيقة المعصية وخاصة أمراض القلوب: كالكبر والعجب والرياء والغرور والمعاصي الباطنة أكبر من الظاهرة وأخطر منها لأن السير إلي الله سير القلوب.. فإذا صلحت القلوب صلحت الجوارح ولأنه قد لا يدرى بها صاحبها فتفتك به وهو يظن نفسه على الطريق المستقيم وقد تستولي النفس على العمل الصالح.. فيصير جندًا لها.. فتصول به وتطغى.. فترى العبد أطوع ما يكون.. أزهد ما يكون.. وهو عن الله أبعد ما يكون بسبب فساد قلبه.

[٣٤] التوبة إلي الله ص ٣٩

 منارات على الطريق:

مالك بن دينار يحكي توبته:

(بدأت حياتي ضائعًا سكيراً عاصيًا.. أظلم الناس وآكل الحقوق.. آكل الربا.. أضرب الضعفاء.. أفعل المظالم.. لا توجد معصيه إلا وارتكبتها شديد الفجور يتحاشاني الناس من معصيتي وفي يوم من الأيام.. اشتقت أن أتزوج ويكون عندي طفلة.. فتزوجت وأنجبت طفلة سميتها فاطمة.. أحببتها حباً شديدا.. وكلما كبرت فاطمة زاد الإيمان في قلبي وقلّت في نفسي المعصية ولربما رآتني فاطمة أمسك كأسا من الخمر.. فتقترب مني فتزيحه وهي لم تكمل السنتين وكأنها سُيرت لتفعل ذلك.. وكلما كبرت فاطمه زاد إيماني.. وكلما اقتربت من الله خطوة ابتعدت شيئا فشيئاً عن المعاصي.. حتى اكتمل سن فاطمة ثلاث سنوات فلما أكملت سنواتها الثلاث ماتت!!.. نعم ماتت فاطمة.. فانقلبت أسوأ مما كنت ولم يكن عندي الصبر الذي عند المؤمنين يقويني على البلاء.. فعدت أسوأ مما كنت.. وتلاعب بي الشيطان... حتى جاء يوم قال لي شيطاني: لتسكرن اليوم سكرة ما سكرت مثلها من قبل.. فعزمت أن أسكر وعزمت أن أشرب الخمر وظللت طوال الليل أشرب وأشرب وأشرب فرأيتني والأحلام تتقاذفني حتى رأيت تلك الرؤيا.. رأيت يوم القيامه وقد أظلمت الشمس.. وتحولت البحار إلى نار.. وزلزلت الأرض واجتمع الناس إلى واجتمع الناس أفواجا.. وأفواجا.. وأنا بينهم أسمع المنادي ينادي فلان ابن فلان.. هلمّ للعرض على الجبار.. يقول: فأرى فلانا هذا

قد تحول وجهه إلـي إلى سـواد شـديد مـن شـدة الخـوف حتـى سمعـت المنـادي ينادي بإسمي هلـم للعـرض علـى الجبـار فـاختفى البشـر مـن حـولي (هـذا في الرؤيا).. وكأنه لا أحـد في أرض المحشـر ثـم رأيـت ثعبانـا عظيمـاً شـديدا قويـا يجـري نحـوي فاتحـا فمـه فجريـت مـن شـدة الخـوف فوجـدت رجـلاً عجـوزاً ضعيفاً.. صرخت آه: أنقذني مـن هـذا الثعبـان.. فقـال لـي.. يـابني أنـا ضـعيف لا أسـتطيع ولكـن إجـر في هـذه الناحيـة لعلـك تنجـو.. فجريـت حيـث أشـار والثعبـان خلفـي فوجـدت النـار تلقـاء وجهـي.. فقلـت: أأهـرب مـن الثعبـان لأسـقط في النـار؟! فعـدت مسـرعًا أجـري والثعبـان يقـترب..فعـدت للرجـل الضـعيف وقلـت لـه: بـالله عليـك أنجـدني.. أنقـذني.. فبكـى رأفـة بحـالي وقـال: أنـا ضـعيف كمـا تـرى لا أملـك أن أفعـل لـك شـيئا ولكـن إجـر تجـاه ذلـك الجبـل لعلـك تنجـو.. فجريـت ناحيـة الجبـل والثعبـان يكـاد يـتخطفني فرأيـت في أعلـى الجبـل أطفـالا صـغاراً وسمعـت الأطفـال كلـهم يصـرخون: يـا فاطمـه أدركـي أبـاك.. أدركـي أبـاك فعلمـت أنهـا ابـنتي.. ففرحـت أن لـي ابنة ماتـت وعمرهـا ثـلاث سـنوات سـتنجدني مـن هـول الموقـف.. فاجتـذبتني بيدها اليمنى ودفعت الثعبـان بيـدها اليسـرى وأنـا كالميـت مـن شـدة الخـوف.. ثـم جلسـت في حجـري كمـا كانـت تجلـس في الـدنيا فقلـت يـا بنـيتي أخـبريني عن هـذا الثعبـان قالـت هـذا عملـك السـيء أنـت كبرتـه ونميتـه حتـى كـاد أن يأكلـك أمـا عرفـت يـا أبـي أن الأعمـال في الـدنيا تعـود مجسـمة يـوم القيامـة؟ قلت: وذلك الرجل الضـعيف.. قالـت ذلـك عملـك الصـالح.. أنـت أضـعفته وأوهنتـه حتـى بكـى لحالـك لا يسـتطيع أن يفعـل لحالـك شـيئاً ولـولا انـك أنجبتني ومتُ صغيرة ما كـان هنـاك شـيء ينفعـك.. ثـم قالـت لـي يـا أبـت: (ﮯ

ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ) (الحديـد١٦).. يقــول: فاســتيقظت مــن نــومي وأنــا أصـرخ: قـد آن يـارب.. قـد آن يـارب يقـول: فاغتسـلت وخرجـت لصـلاة الفجر أريـد التوبـة والعـودة إلى الله فـدخلت المسـجد فـإذا بالإمـام يقـرأ نفـس الآية (ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ)

فوا أسفاه عليك ياقلبي...

كـم تـذنب ولا تتـوب؟.. كـم قـد كُتبـت عليـك ذنـوب؟.. خـل الأمـل الكذوب.. فرُب شروق بـلا غـروب.. قـل لـي بربـك.. متي ترجـع إلـي الله.. متي تؤوب؟

ألك صبر علي العقوبة؟ (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)(المعارج ١٥)

فيا قلـبي الغـارق في أوحـال الـذنوب هـذا شـلال البركـات يتفجـر مـن عنـد الرحمن (ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ) (ص٤٢)

دعاء القلب الموصول بالله:

إلهـي وعزتـك وجلالـك... مـا أردت بمعصـيتك مخالفتـك ولا عصـيتك إذ عصـيتك وأنـا بمكانـك جاهـل ولا لعقوبتـك متعـرض ولا لنظـرك مسـتخِفٌ ولكـن سـولت لـي نفسـي وسـاقتني شـهوتي وأعـانني علـى ذلـك استعدادي وغرني سـترك المرخـي علـيَّ فعصـيتك بجهلـي وخالفتـك بقبـيح فعلـي.. فمـن عـذابك الآن مـن يسـتنقذني! أو بحبـل مـن أعتصـم إن قطعـت حبلـك عـني!.. واسوءتاه مـن الوقـوف بـين يـديك غـداً إذا قيـل للمخِفّـين جُـوزُوا وللمـثقلين حُطُّوا!.. ويلي أنـا المـذنب المصـر.. أنـا الجـرىء الـذى لا أقلـع.. أنـا المتمـادى

الـذى لا أسـتحى.. هـذا مقـام المتضـرع المسـكين والبـائس الفقـير والضـعيف الحقـير والهالـك الغريـق.. فيـا إلهـي الـرءوف الـرحيم.. هـذه نفسـي الضـعيفة تجـأر إليـك مسـتغيثة برحمتـك فمـا لـي مـن شـيئ أسـتطيع عرضـه بـين يـديك سـوي فقـري وذلـي وانكسـاري بـين يـديك... أنـا عبـدك المـذنب العاصـي عدت تائبا فأذقنى برد عفوك واغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

قلب همومه أخروية

نظر صاحب القلب الموصول بالله في هموم الناس من حوله فوجد أكثرهم يهتمون بزينة الحياة الدنيا.. تراهم أخلدوا إلى مباهجها، وخُدعوا بشهواتها وانصرفت همتهم نحو المآكل والمشارب والملابس وفخامة المنازل وأناقة الفراش والأثاث وألوان الترف والرياش وعزة المناصب والجاه والمال والزوجات والعشيرة.. تشغلهم الأفكار التافهة والنزوات الفارغة ومطالب النفس الحيوانية الظاهرة والباطنة..

أما صاحب القلب الموصول بالله فينظر إلي الدنيا بعين البصيرة ويوقن أن نعيمها ابتلاء وحياتها عناء وعيشتها نكد وصفوها كدر.. فهي دار حلالُها حساب وحرامها عقاب وأهلها منها على وجل: إما بنعمة زائلة أوبلية نازلة أومنية قاضية[٣٥] لذا فهو يتخذها استراحة في طريق ومنزلاً موقوتاً يريح فيه جسمه ويجدد نشاطه ويتناول ما قد يحتاج إليه من طعام وشراب ليواصل سيره بعد ذلك إلى غايته غير آبه بما قد رآه في تلك الإستراحة من ملهيات وغير متأثر بما قد ناله فيها من موحشات.

فهو مشغول بهم النبأ العظيم.. مشغول بمآله في المصير الآخروي العظيم.. فلا وقت لديه للإلتفات أوالإنشغال بهموم الأرض ولا بأهلها الغارقين في أوحالها... فهو لا يغره البريق الخاطف.. ولا تشغله الزينة عن الجوهر.. وضع نصب عينية وصية ابن عطاء الله: (كفي بك جهلاً أن

---

[٣٥] لمزيد من التفاصيل حول حقيقة الحياة الدنيا راجع كتابي متاع الغرور- دار طيبة مصر

تعول الهم الصغير وتترك الهم الكبير... عُلْ هم هل تموت مسلمًا أو كافرًا عُلْ هم أنت شقي أم سعيد.. عُلْ هم النار الموصوفة بالأبدية التي لا انتهاء لها.. عُلْ هم أخذ الكتاب باليمين أوالشمال.. هذا هو الهم الذي يُعال.. لا تعُلْ هم لقمة تأكلها أو شربة تشربها.. أيستخدمك الملك ولا يطعمك؟ أتكون في دار الضيافة وتضيع؟ لأن تكون خاملا (الذي لا يُعرف ولا يُذكر) في الدنيا خير لك من أن تكون خاملاً يوم القيامة).

وهكذا حال القلب الموصول بالله يُحلق في رحاب الآخرة وينظر من علو إلي عالم الشهوات والملذات والغرائز ولسان حاله يقول (ﭙ ﭚ ﭛ)... (فكل ما في الدنيا يحرِّكه إلى ذكر الآخرة.. فإذا رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر وإن رأى الناس نيامًا ذكر الموتى في القبور وإن رأى لذة ذكر الجنة وذلك يشغله عن كل مأثم.. وأعظم ما عنده أنه يتخايل البقاء في الجنة وأن بقاءه لا ينقطع ولا يزول ولا يعتريه نغصة فيكاد إذا تخايل نفسه متقلبًا في تلك اللذات الدائمة التي لا تفنى يطيش فرحًا، ويَسْهُل عليه ما في الطريق إليها من ألمٍ، ومرضٍ، وابتلاءٍ، وفقد محبوب، وهجوم الموت ومعالجة غصصه فإن التائق إلى العافية لا يبالي بمرارة الدواء ويعلم أن جودة الثمر هناك على مقدار جودة البذر هاهنا، فهو يتخيَّر الأجود ويغتنم الزرع في تشرين العمر من غير فتور..

ثم يتخايل دخول النار والعقوبة، فينغِّص عيشه، ويقوى قلقه، فعنده بالحالين شغل عن الدنيا وما فيها، فقلبه هائم في بيداء الشوق تارة وفي صحراء الخوف أخرى، فإذا نازله الموت قَوِيَ ظنه الملائكة بالسلامة،

ورجا لنفسه النجاة فيهون عليه.. فإذا نزل إلى القبر وجاءه يسألونه قال بعضهم لبعض: دعوه فما استراح إلا الساعة)[٣٦].

 كيف يتعامل القلب الموصول بالله مع الحياة الدنيا؟

(لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها فتنمو الحياة وتتجدد وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض.. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة فلا ينحرفون عن طريقها ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها.. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم وتقبل لعطاياه وانتفاع بها فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى) [٣٧]

إن صاحب القلب الموصول بالله يتعامل مع الحياة الدنيا علي أنها دار مرور وعبور.. وامتحان وابتلاء وزوال وفناء.. لا تدوم لأحد.. ولا تصفو لبشر ولا تدوم لراغب وليست بمستقر دائم ومقام أبدي.. فهي كما وصفها الله عزوجل (ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ)(الكهف ٤٥)

إن (مثل هذه الحياة الدنيا كمثل المطر ينزل على الأرض فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج.. فبينما زهرتها وزخرفها تسر الناظرين وتفرح المتفرجين وتأخذ بعيون الغافلين إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح..

---

[٣٦] صيد الخاطر ابن الجوزي ٤٢٨ -٤٢٩

[٣٧] في ظلال القرآن ج ٥ ص ٢٧١١

فـذهب ذلـك النبـات الناضـر والزهـر الزاهـر والمنظـر البهـي فأصـبحت الأرض غـبراء ترابـا، قـد انحـرف عنهـا النظـر، وصـدف عنهـا البصـر، وأوحشـت القلـب كـذلك هـذه الـدنيا.. بينمـا صـاحبها قـد أعجـب بشـبابه وفاق فيها على أقرانـه وأترابـه وحصـل درهمهـا ودينارهـا واقتطـف مـن لذتـه أزهارهـا وخـاض في الشـهوات في جميـع أوقاتـه وظـن أنـه لا يـزال فيهـا سـائر أيامـه إذ أصـابه المـوت أوالتلـف لمالـه فـذهب عنـه سـروره وزالـت لذتـه وحبـوره واسـتوحش قلبـه مـن الآلام وفـارق شـبابه وقوتـه ومالـه وانفـرد بصالح أوسيئ أعمالـه هنالـك يعـض الظـالم علـى يديـه حـين يعلـم حقيقـة مـا هـو عليـه ويتمنـى العـود إلى الـدنيا لا ليسـتكمل الشـهوات بـل ليسـتدرك مـا فرط منه من الغفلات بالتوبة والأعمال الصالحات) [٣٨]

فصـاحب القلـب الموصـول بـالله كلمـا تأمـل في الآيـة السـابقة أدرك أن نضرة النبات تصير إلي جفـاف ثـم إلـي حطـام.. وأن نشـاط الشـباب يتحـول إلي ضعف الشيخوخة ثم إلي ركود الموت.

وأن الـذي يجعـل الأرض تمـوج بالنضـرة والحيويـة مـرة أخـري سـيحييه بعـد موتـه كـذلك ثـم يحاسـبه علـي ماقـدم (ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ)(الزلزلـة ٧-٨)... فهـو يعلـم أن الحيـاة لـلأرض حيـاة تليـق بالديـدان والزواحـف والحشـرات والهـوام والوحـوش والأنعـام.. أمـا الحيـاة الحقيقيـة الـتي ينبغـي العمـل لهـا في الحيـاة الآخـرة (ٻ ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ) (العنكبوت٦٤)

---

[٣٨] تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن.. الشيخ عبد الرحمن السعدي

لذا فهو دوما يقول لنفسه: قدّري أنك قد متِ ولا بد أن تموتي.. فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة أم العمل لدار أكلها دائم وظلها وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟ لله دُر القلب الموصول بالله... نظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى ظاهرها وعمل لآخرته.. حين عمل الغافل لدنياه.. فشتان ما بين الفريقين وما أبعد الفرق بين الطائفتين

أخي في الله... (تصوَّر نفسك واقفاً أمام بحر عظيم ألقت أمواجه على شاطئه بكثير من الأصداف المختلفة الأنواع.. كما ألقت على مقربة منها كثيراً من اللآلئ والجواهر النادرة الوجود الباهظة الأثمان وقد اهتمَّ غلامٌ لا يعرف قيمة اللآلئ والجوهرات بملءِ جيوبه وما معه من حقائب بالأصداف والحصى فرحاً بها وهو يحسب أنه يُحسن صنعاً.. وكنت أنت تبذل الوسع في نصحه وإرشاده وتطلب إليه أن يكف عن جمع الأصداف ويغتنم هذه الفرصة الثمينة التي ما يجود الدهر بمثلها.. فلا يعير إرشادك ونصيحتك اهتماماً والتفاتاً بل يستمر منهمكاً في جمع الصدف وتعديده.. على حين تهتم أنت بجمع اللؤلؤ واختيار الكبير الثمين من حبَّاته.. أفلا تقول والحالة هذه وأنت ترى ذلك الغلام القليل العقل يفعل ما يفعل: مسكين هذا الغلام إنه يجمع صدفاً! وفي نفسك ما فيها من احتقار لشأنه وازدراء لهمَّته وعمله)[٣٩] أقول: وكذلك الأمر بالنسبة للقلب الموصول بالله

[٣٩] تأويل سورة الهمزة ص ١٠ – ١١ محمد أمين شيخو

والقلـب الغافـل... فـالأول يسـتزيد في دنيـاه مـن فعـل المعـروف والإحسـان ويبـذل الوسـع في اغتنـام الصـالحات مـن الأعمـال.. والقلـب الغافـل الجاهـل ينصرف إلى جمع المال وأكـبر همِّـه مـن دنيـاه جمـع المـال وتعـداده.. روى الإمـام أحمـد والترمـذي وابـن ماجَـهْ مـن حـديث زيـد بـن ثابـت رضـي الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال (مَـن كانـتِ الآخـرةُ هَمَّـه، جَمَـع الله لـه شَـمْله، وَجَعَـلَ غنـاهُ في قَلْبـه وَأَتَتْـه الـدُّنيا وهـي راغِمـة.. ومَـن كانـتِ الـدُّنيا هَمَّه، فَرَّقَ الله عليه شَمْله، وجعـل فقـره بـين عَيْنَيْـه، ولم يأتِـه مـنَ الـدُّنيا إلاَّ مـا قدر له). (صحيح الجامع ٦٥١٠)

وهكـذا.. إذا تغلغـل همـم الآخـرة في النفـوس ووصـل سـويداء القلـب.. هانَ على المرء ما ضـاعَ مـن دُنيـاه ورخـص عليـه مـا خسـره في تجارتـه ومربحـه لأنـه يَسْـتَيقِن أن مسـتقره وبقـاءه هنـاك في الـدار الآخـرة... ولا تحسـبن أن صـاحب القلـب الموصـول بـالله لا يخلـو مِـن هُمُـوم تعتريـه في دنيـاه مـن هـمٍّ عمـل أو مسـكن أو زواج أو تربيـة ولـد أوغيرهـا.. غـير أنهـا همـوم صـغيرة تضيع أمام همه الأكبر ومقصده الأعظم.

فيا قلبي الضعيف...

يـا مـن رواحلـه في طلـب الـدنيا لهـا اسـراع.. متـى تحـل عنهـا نطـاق الأمـل فيكـون الانقطـاع؟ اذا طلبـت الآخـرة تمشـي رويـدا فمتـى يكـون الإنتفـاع؟.. عجبًـا لـك كيـف تشـدّ الرحـال في طلـب الفـاني وفي طريقـه قطّـاع!.. العمـر أمانــة أتلفــت شــبابه في الخيانــة وكهولتــه في البطالــة وفي الشــيخوخة تبكــي وتقـول: عمـري قـد ضـاع.. أنـت في طلـب الـدنيا صـحيح الجسـم وفي طلـب

الآخرة بك أوجاع.. كم تعرج عن سبل التقوى يا أعرج الهمة.. يا من يبقى في القاع اعلم إنك راحل إلى الله حتما.. وما عمرك هذا المتناثر من بين يديك صباح مساء إلا دلالة صريحة على السير الحثيث.. فبعد قليل ستنتهي الرحلة ونقف على محطة القبر أنا وأنت لنلج عالَم البرزخ في انتظار اجتماع أجيال الخلائق لليوم الموعود (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ) (الحج ٢).. ما أروعه من مشهد عظيم للأهواء والأدواء! وما أفزعه للنفس المؤمنة بالله! وما أيقظه لها من غفلتها! وما أشده تنشيطا لها في سيرها إلى مولاها جل علاه.

دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا ومأوانا.

قلب يفوح بعطر الإخلاص

(إن الله لا يحب العمل المشترك ولا القلب المشترك.. فالعمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك هو لا يقبل عليه) هكذا أوجز الإمام ابن عطاء الله في (حكمه) أهمية الإخلاص وضرورته لصاحب القلب الموصول بالله ولجميع السالكين لطريق الله.. إن الأعمالَ لا تزكو وتصفو إلا إذا صفت النيات وزكت المقاصد.. فالأعمال الصالحة الطيِّبة معلقة بالنيات الصالحة الطيبة.. فصفاء العمل فرع من صفاء القلب.. فإذا صفا القلب زكا العمل وأثمر القول.. ألا ما أعظم الإخلاص.. لايدانيه شيء في أهميته ولا يماثله شيء في عظمته. الإخلاص... سلعة راجت عند الصادقين.. وكسدت في سوق الغافلين. الإخلاص... (وقف الصالحون عند عتباته.. ودندنوا حول درجاته.. واستسهلوا دونه الصِّعاب.. وخاضوا لأجله البحر العُبَاب.. فهو بضاعتهم التي بها يتَّجرون.. ورأس مالهم الذي به إلى سوق الصالحات يدفعون)[40].

إن حقيقة الإخلاص تعني الوقوف مع الله تعالى في العمل ابتغاء مثوبته وأجره والحرص على مرضاته.. إنّه رباط رباني أزلي لا يقف عند صورة العمل ومادته وشكله ومظهره.. وهو يعني الحرص على وقوع العمل كما يحب الله تعالى ويرضى من حيث شروط العمل وأركانه وحدوده

[40] كتيب أخلص العمل فإن الناقد بصير.. أزهري محمود

ومكملاته.. ووقوف العبد مع مراد ربّه يعني: أنّه يقدّم عمله لله ويعمل في الدنيا وقلبه معلّق بالآخرة يتطلّع إلى مرضاة الله تعالى ورضوانه.

الإخلاص في عيون الصالحين:

قال الإمام القشيري: (الإخلاص إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر مِن تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى).

وقال الجُنيد: (الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوىً فيميله).

وقال أبو طالب المكي: (حقيقة الإخلاص سلامته من وصفين وهما الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف الله تعالي الخالص من اللبن فقال (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭻ).

وقال سهل بن عبد الله التستري: (نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا).

وقيل: (الإخلاص ألا تطلب على عملك شاهد غير الله ولا مجازي سواه).

وقيل: (الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن).

وخلاصة القول يخبرك بها الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (واعلم أن الإخلاص لله أساس الدين وروح التوحيد والعبادة وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس وحقائق الإيمان التي هي الإحسان وبحقوق الله وحقوق عباده مكملا لها قاصدا بها وجه الله والدار الآخرة لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة ولا دنيا وبذلك يتم إيمانه وتوحيده).

إخواني في الله... إن العمل الذي لا يصحبه الإخلاص صورة بلا حياة وجثة بلا روح.. فالله تعالى إنما يريد من الأعمال حقائقها لا رسومها وصورها ولهذا يرد كل عمل مغشوش على صاحبه كما يرد الصيرفي الناقد العملة المزيفة... فالقلب المقفر من الإخلاص لا ينبت قولا كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعا والقشور الخادعة لا تغني عن اللباب الرديء شيئا.. والإخلاص يسطع شعاعه في النفس وأشد ما يكون تألقا في الشدائد المحرجة.. فالإنسان عندها ينسلخ من أهوائه ويتبرأ من أخطائه ويقف في ساحة الله أواباً يرجو رحمته ويخاف عذابه.

• **تحذير النبي عليه الصلاة والسلام من الرياء**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: (إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه: رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما علمت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار, ورجل تعلم

العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار). (رواه مسلم)

فيا قلبي المسكين الجهول.. (أي عمل تستطيع أن تدعي الإخلاص فيه له (لله) وحده؟ لا سمعة ولا رياء مهما قل أو خفي عسي أن يسلم لك.. ألا تخشي أن يقال لك أنت أيضًا: كذبت وتكون المأساة.. فالله الله في عملك.. الله الله في دينك قبل فوات الأوان حققه خفقة خفقة.. وكلمة كلمة وخطوة خطوة وركعة ركعة وسجدة سجدة ودرهما درهما عسي أن تكون من المسددين المقاربين)[41]

من ثمرات الإخلاص: [42]

١- السكينة النفسية: الإخلاص يمنح صاحبه سكينة نفسية وطمأنينة قلبية تجعله منشرح الصدر مستريح الفؤاد فقد اجتمع قلبه على غاية واحدة هي رضا الله عز وجل وانحصرت همومه في هم واحد هو سلوك

---

[41] مجالس القرآن ص١٩٢ د. فريد الأنصاري

[42] راجع كتاب النية والإخلاص د. يوسف القرضاوي

الطريق الذي يوصل إلى مرضاته.. ولا ريب أن وضوح الغاية واستقامة الطريق إليها يريح الإنسان من البلبلة والإضطراب بين الإتجاهات وتنازع الرغبات وتعدد السبل.. وبهذا تحرر الإنسان المؤمن بإخلاصه العبودية لله من تعاسة العبودية لغيره لأنه جمع همومه في هم واحد هو رضوان الله تعالى وجعل نيته وقصده في الآخرة فهان عليه كل ما يلقى في هذه الدنيا... يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك)[٤٣].. ومعنى تشعبته الهموم: توزعته وتقسمت قلبه وإرادته: بين المال والجاه والشهوات وما أكثرها بخلاف المؤمن الذي ركز كل همه في إرضاء ربه.

٢- تحويل المباحات والعاديات إلى عبادات: الإخلاص هو إكسيرالأعمال الذي إذا وضع على أي عمل ولو كان من المباحات والعادات حوله إلى عبادة وقربة لله تعالى.. فإذا قام العبد بشيء من الأمور المباحة: كالنوم أوالأكل أوالشرب أوالمشي أوغير ذلك يريد به التقرب إلى الله عز وجل كأن يقوي بدنه ليجاهد في سبيل الله.. وكأن ينام في النهار من أجل أن يقوم الليل.. وكأن يأكل ليتقوى على الطاعة فكل ذلك يكون عبادة في حقه... وهذ ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لسعد: (إنك ما تنفق نفقة تبغي بها وجه الله تعالى إلا أثبت عليها حتى اللقمة تضعها في فيّ (أي فم) امرأتك) (متفق عليه)

---

[٤٣] رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦١٨٩

٣- إحراز ثواب العمل وإن لم يتمه أو لم يعمله: قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعلمت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا، ولم يرزقه علما، يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعلمت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء)** (رواه الترمذي٢٣٢٥ وصححه الألباني)

٤- تكثير العمل ومضاعفة الأجر: إذا تمكن الإخلاص من عمل كان سببًا في مضاعفة أجره حتى ولو كانت الطاعة في ظاهرها يسيرة أو قليلة... وهذا ماتوصل إلي عبد الله بن المبارك فقال: (رب عمل صغير تكثره النية ورب عمل كبير تصغره النية)... ألا ما أنفس الإخلاص وأغزر بركته.. إنه يخالط القليل فينميه حتى يزن الجبال ويخلو منه الكثير فلا يزن عند الله هباءة.

D- تأييد الله ومعونته في الشدائد والأزمات: إن الله تعالى يمد المخلص بعونه ويحرسه بعينه التي لا تنام ولا يتخلى عنه إذا حلت بساحته الخطوب وأحاطت به الشدائد والكروب فهو سبحانه يستجيب دعاءه ويلبي نداءه ويكشف عنه الغمة... ومن أبرز الأمثلة والوقائع في أثر الإخلاص في إنقاذ المكروب من كربته قصة الثلاثة (أصحاب الغار) الذين قص علينا

قصتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أطبقت عليهم الصخرة فلم ينجهم منها إلا أعمال صالحة كانوا قدموها خالصة لوجه الله تعالى فتوسلوا إلى الله بها، وقال كل واحد منهم: (اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه) ففرج الله عنهم وأخرجهم من ورطتهم بسبب إخلاصهم[٤٤].

٦- **الحفظ من كيد الشيطان:** إن الله يستخلص لنفسه من عباده من يخلص نفسه لله ويجردها له وحده ويعبده كأنه يراه فهؤلاء ليس للشيطان عليهم من سلطان كما قال تعالي عن الشيطان (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ) (الحجر٣٩-٤٠).. إن الشيطان لا يتلقف إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع فأما من يخلصون أنفسهم لله.. فالله لا يتركهم للضياع ورحمة الله أوسع ولو تخلفوا فإنهم يثوبون من قريب.

الطريق إلي الإخلاص:

١- معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله.. فهذه المعرفة تجعل النفس تشاهد جلال الله عز وجل وعظمته.. وأنه أهل سبحانه لأن يُعبد ويُخلص له العبادة.

٢- معرفة الخلق وأنهم مخلوقون ضعفاء فقراء لا يستحقون أن يبطل الإنسان عمله لأجل رؤيتهم وثنائهم.

[٤٤] سأذكر القصة بتمامها تحت عنوان منارات علي الطريق

٣- معرفة النفس بكونها مصدر كل سوء وقبح وأن ما يصدر عنها من خير وهدى فمن الله وحده فيستعين بالله عليها ويجاهدها ويقاوم رغباتها الذاتية والدنيوية حتى لا تتجاوز حد الإخلاص.. ولاشك أن في مجاهدة النفس صعوبة ومعاناة ومشقة يجدها من يريد طريق الآخرة وخصوصا في أول الأمر ولكن بالاجتهاد والمحاولة والتكرار والصبر والاستعانة بالله تعالى يسهل الصعب ويتيسر العسير (ڻ ڻ ڎ ڏ ۀ ۀ ہ ہ ۂ ۂ) (العنكبوت٦٩) وما أجمل ما قاله الحسن البصري رحمه الله: (رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره أمسك(أي توقف).

٤- معرفة أهمية الإخلاص وضرورته الدينية وثمراته في الدنيا والآخرة وأن الله تعالى لا يقبل عملاً إلا بإخلاص مهما تكن صورته.. والتفكر في عواقب الرياء الوخيمة ومضاره السيئة.

٥- صحبة أهل الإخلاص ومعايشتهم والحياة في رحابهم ليتأسى بهم ويأخذ عنهم ويتخلق بأخلاقهم.. فإن التأسي بهم صلاح والتشبه بهم فلاح.

٦- قراءة سير المخلصين والتعرف على حياتهم للتأثر بهم والاهتداء بهداهم.

٧- الدعاء والإستعانة بالله: وذلك أن يظهر العبد افتقاره إلي الله عزوجل ويكثر من الدعاء والتوسل إليه بأن يرزقه الإخلاص... فعندما تعجز وسائل الإنسان المادية أوتضعف قدرته أو تهن إرادته فليس أمامه إلا باب الله الكريم يطرقه بالدعاء ويسأله من فضله وهو أهل الإجابة..

لذا علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن ندعوا بهذا الدعاء: (اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)[٤٥].

منارات على الطريق:

اللهم اجعلني مع صاحب النقب:

حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد حتي جاء رجل من عرض الجيش فدخله وعالج الباب فكسره ففتحه الله عليهم فنادى مسلمة علي صاحب النقب فما جاء أحد.. فنادى إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي فعزمت عليه إلا جاء... فجاء رجل فقال: استأذن لي على الأمير فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه فأتى مسلمة فأخبره عنه فأذن له فقال: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا اسمه في صحيفة الخليفة ولا تأمروا له بشيء ولا تسألوه ممن هو؟... قال: فذاك له، قال: أنا هو.. فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

أصحاب الغار:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه.. فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا

[٤٥] رواه أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٣٧٣١

ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالي بصالح أعمالكم.. قال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق(الغبوق شرب اللبن العشاء) قبلهما أهلا(لا أقدم في الشرب قبلها) ولا مالا.. فنأى(بعد) بي طلب الشجر يوما، فلم أرح عليهما(أرجع إليهما) حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا.. فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر(طلع وظهر) والصبية يتضاغون عند قدمي(يصيحون من الجوع) فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه.. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين(أي فقر) فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم(البكارة) إلا بحقه.. فانصرفت عنه وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها.. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره(أي كثرته بالزرع أو التجارة) حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين، فقال لي: يا عبدالله، أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله، لا تستهزئ بي! فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله

فاستاقه فلم يترك منه شيئا.. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.. فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) [٤٦]

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم اجعل عملي كله صالحًا واجعله لوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.

اللهم إن كنت تعلم فِيَّ إخلاصاً وأنا لست أهلا لذلك فثبتني عليه حتى ألقاك.. وإن كنت تعلم فِيَّ رياءً ونفاقاً وأنا أهل لذلك فامنحني توبة منك ترضيك عني.

[٤٦] متفق عليه.. رواه البخاري٢٢٧٢ ومسلم٢٧٤٣

قلب يتجاوب مع آيات اللّه

إن كثيراً من الناس يمرون على آيات الله عزوجل (التكوينية والتنزيلية) وهم عنها غافلون فلا قلب يعقل ولا عين تبصر ولا أذن تسمع ولا فؤاد يهتز ولا نفس تطرب ولا ضمير ينيب ولا مشاعر تستجيب (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ) (الأعراف ١٧٩)

أما صاحب القلب الموصول بالله فهو يحيي مع آيات اللّه بآذان صاغية وعيون راعية وقلوب واعية (ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ) (الفرقان ٧٣)

فهو ينظر إليها بعقله ويعطيها وجدانه ومشاعره.. وعندئذ يُؤذن له بأن يجنى من ثمارها ويقطف من زهرها وينشق من طيبها وينتفع بهديها ويستضىء بنورها... فهو ينظر إلي آيات الله على أنها آيات ناطقة بوجود الله ووحدانيته، يتلقاها سطوراً صيغت بأبلغ بيان ينطق بصفات الله وعظيم آلائه، يتلقاها وهو ينشد قائلاً:

وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

وآيات الله نوعان: آيات الله التكوينية (في الأنفس والآفاق) وآيات الله التنزيلية (القرآن الكريم).

آيات الله في الأنفس:

إن في خلق الله تعالي للإنسان آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين (ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ) (الذاريات ٢١)

ويعلق الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى على هذه الآية فيقول:

(وهـذا المخلـوق الإنسـاني هـو العجيبـة الكـبرى في هـذه الأرض ولكنـه يغفل عن قيمتـه وعـن أسـراره الكامنـة في كيانـه حـين يغفـل قلبـه عـن الإيمـان وحين يحرم نعمة اليقين..

إنـه عجيبـة في تكوينـه الجسـماني في أسـرار هـذا الجسـد.. عجيبـة في تكوينـه الروحـي في أسـرار هـذه الـنفس.. وهـو عجيبـة في ظـاهره وعجيبـة في باطنـه وهـو يمثـل عناصـر هـذا الكـون وأسـراره وخفايـاه... وحيثمـا وقـف الإنسـان يتأمل عجائب نفسـه التقـى بأسـرار تـدهش وتحـير تكـوين أعضـائه وتوزيعهـا، وظائفهـا وطريقـة أدائهـا لهـذه الوظـائف، عمليـة الهضـم والامتصـاص، الغـدد وإفرازهـا وعلاقتهـا بنمـو الجسـد ونشـاطه وانتظامـه، تناسـق هـذه الأجهـزة كلـها وتعاونهـا، وتجاوبهـا الكامـل الـدقيق. وكـل عجيبـة مـن هـذه تنطـوي تحتها عجائـب، وفي كـل عضـو وكـل جـزء مـن عضـو خارقـة تحـير الألبـاب.. ثـم أسـرار هـذا الجـنس في توالـده وتوارثـه خليـة واحـدة تحمـل كـل رصـيد الجـنس البشـري مـن الخصـائص وتحمـل معهـا خصـائص الأبـوين والأجـداد القـريبين.. فـأين تكمـن هـذه الخصـائص في تلـك الخليـة الصـغيرة؟ وكيـف تهتـدي بـذاتها إلى طريقهـا التـاريخي الطويـل فتمثلـه أدق تمثيـل وتنتهـي إلى إعادة هـذا الكـائن الإنسـاني العجيـب؟!.. وإن وقفـة أمـام اللحظـة الـتي يبـدأ فيهـا الجـنين حياتـه علـى الأرض وهـو ينفصـل عـن أمـه ويعتمـد علـى نفسـه ويؤذن لقلبه ورئتيـه بالحركـة لبـدء الحيـاة.. إن وقفـة أمـام هـذه اللحظـة وأمـام

هـذه الحركـة لتـدهش العقـول وتحـير الألبـاب وتغمـر الـنفس بفـيض مـن الدهش وفيض من الإيمان لا يقف له قلب ولا يتماسك له وجدان!

وإن وقفة أخرى أمـام اللحظـة الـتي يتحـرك فيهـا لسـان الوليـد لينطـق بهـذه الحروف والمقـاطع والكلمـات ثـم بالعبـارات بـل أمـام النطـق ذاتـه نطـق هـذا اللسان وتصويت تلك الحنجرة إنهـا عجيبـة عجيبـة تفقـد وقعهـا لأنهـا تمـر بنـا كـثيرًا ولكــن الوقــوف أمامهــا لحظــة في تــدبر يجــدد وقعهــا.. إنهــا خارقــة.. خارقـة مذهلـة تنبـئ عـن القـدرة الـتي لا تكـون إلا لله وكـل جزئيـة في حيـاة هذا المخلـوق تقفنـا أمـام خارقـة مـن الخـوارق لا ينقضـي منهـا العجـب (ڈ ڈ ۂ ۂ ہ)[47]

حقًا إنها آيـات عظيمـة يُحـار فيهـا اللّـبّ ويُـدهش منهـا العقـل.. إنهـا عالمـاً رحيباً وكوناً فسيحاً وسـجلّا حـافلاً بالآيـات الدالـة علـى قـدرة الخـالق وعلـى حكمته وعلى بديع صنعه وحكمة تدبيره

- هـل تأملـت الـدم وهـو يجـري في العـروق بـلا توقـف وبجريانـه تسـري الحياة في الجسد كما يجري ذلـك الـدم.. فهـل تسـاءلت يومـاً كيـف يجـري ومـن أجـراه؟ ومـاذا ينـتج عـن جريانـه؟ ومـاذا ينـتج عـن توقفـه؟ هـل تساءلت يومـاً عمـا إذا توقـف ذلـك الـدم عـن الجريـان هـل بمقـدورك أن تعيده للجريان من جديد؟!
- هـل تأملـت في قلبـك تلـك المضـغة الصـغيرة وسـألت نفسـك مـن الـذي يتعاهده ويحفظه ويتولى ضبط سرعة ضخه للدم؟

[47] في ظلال القرآن ج ٦ ص٣٣٧٩ –٣٣٨٠ بتصرف يسير

- هـل تأملـت كليتيـك وعملـهما العظـيم في تنقيـة دمـك وتصـفيته وهـل تأملت صغرهما بجانب مهمتهمـا العظيمـة الـتي قـد صـنع لهـا جهـاز بمـلء غرفة كاملـة ليقـوم بعملـهما.. وهـل تسـاءلت مـن صـنعهما ومـن ألهمهـا ذلك؟
- هـل تأملـت اللقمـة الـتي تأكلـها في فمـك.. مـن الـذي يتـولى عمليـة تسييرها وهضمها وامتصاص النافع منها وإخراج ما ينبغي إخراجه؟
- هـل سـألت نفسـك مـن يتـولى أمـر إبصـارك بـالعين وسماعـك بـالأذن ونطقـك باللسـان.. مـن يتـولي عمليـة دخـول الـنَفَس الـذي تتنفسـه إلى الـرئتين وأخـذ مـادة الأكسـجين منـه وإخراجـه محمـلا بثـاني أكسـيد الكربـون؟.. وغيرهـا كـثير الجهـاز العظمـي.. الجهـاز العضـلي.. الجهـاز الجلدي.. الجهاز التناسلي الجهاز اللمفاوي.. الجهاز العصبي و...

قـل لـي بربـك.. مـن ذا الـذي صـنع لـك كـل ذلـك.. إنـه (بى بيى تج تح تخ تم)(النمل٨٨)

ف(ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ) (الإنفطار ٦-٨)

ألا مـا أشـد جحـود الإنسـان وكفرانـه وضـلاله مـع هـذا الفضـل الغـامر الذي يجده فى كل ذرة من ذراته ومع كـل نفـس مـن أنفاسـه.. (مـا أشـد تنكـر هذا الإنسان لربه.. خلقه ربـه مـن العـدم فشـك في وجـود ربـه.. وأطعمـه مـن جـوع فشـكر غـيره.. وأمـده بـالقوة فعصـي بهـا مـولاه.. يمـرض فيخشـع فـإذا شفاه ربه نسي وتكـبر.. يفتقـر فيخضـع فـإذا أغنـاه الإلـه طغـي وبغـي.. يبتلـي

فينكسر ويدعو فإذا عافاه خالقه تجبر وعتي.. عنده آلاف النعم فيكتمها ويطلب غيرها.. لديه مئات المواهب فيجحدها ويسأل سواها)[٤٨].

آيات الله في الآفاق:

إن التأمل في أرجاء هذا الكون الفسيح يقودنا الى جمال الله ويهدينا إلى عظمته ويبصرنا بلطيف صنعه.. (فهذا الوجود الذي أمامك هو كتاب الله المنشور وهذه الكائنات العجيبة التي تملؤه هي سطور حية تقرأ فيها قدرته سبحانه وعلمه وحكمته.. كرمه ووده وبره وعظمته.. فإذا وقع نظرك أو سمعك أو يدك علي شيء ما فقد وقع في الحقيقة علي مستودع خطير لحكم الله وعبره.. فإذا أحس الإنسان بقلبه يختلج وبدنه يرتجف ودمعه يفيض.. فليعلم أنه فهم سطراً من كتاب الوجود.. فإن ثمرة التأمل أن تنفذ إلي بعض آثار صفات الخالق وفي الآثار عبرة والعبرة إشعاع رقيق يسطع في القلب ليصله في رفق بالله سبحانه وتعالي.. فإذا أفضيت إلي الله وخرّت مشاعرك ساجدة خاشعة راجية محبة بلغت من أسباب الفهم والمعرفة ما لا يبلغه إلا الراسخون في العلم ولو كنت ممن لم يقرأن كتاباً أو يجلسوا إلي أستاذ في مدرسة أو جامعة)[٤٩].

أخي في الله...

---

[١] علي بوابة الوحي د. عائض القرني

[٤٩] تذكرة الدعاة ص ١٠٠ البهي الخولي

كم في هذا الكون من جمال ساحر، ومنظر فاتن، وحُسن باهر، وأجمل من كل ذلك الجمال وأروع من جميع ذلك الحسن أن ينظر أولو الألباب إلى جمال هذا الكون وروعة إبداعه وعظيم صنعه، ودقة إحكامه، وعميق انسجامه، فيؤمنون بأن وراء هذا الجمال جمالاً أعظم وُحسناً أكبر، ونوراً أكمل، وبهاءً أتم، وأن جمال هذا الوجود بأسره ما هو إلا قطرة من فيض جماله وومضة من بديع كماله.. إن رؤية الجمال على حقيقته لا تكون إلا حينما ينظر القلب بنور الله فتتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة وروائعها البديعة ويتذكر الله كلما وقعت عينه أو حسه على شيء بديع أو منظر حسن فيحس بالصلة ويشعر بالترابط بين المبدع وما أبدع والجميل وما جمّل والمحسن وما أحسن ويرى من وراء هذا الجمال جمال الله وجلاله وكماله (ﮈ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ) (آل عمران١٩٠ -١٩١)

إن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية إلا للقلوب الذاكرة العابدة فهؤلاء الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار هم الذين تتفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى المنطوية في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار فيوصلهم ذلك إلي التعرف على اللّه سبحانه وتعالى والإستدلال على وحدانيته وقدرته وعلمه وحكمته وأن هذا الوجود ما خلق إلا بالحق وما قام إلا على سنن وقوانين تمسك به وتحفظ عليه وجوده ونظامه.. وإدراك الحق الذي في تصميم هذا الكون وفي ظواهره معناه عند أولي الألباب أن هناك تقديرًا وتدبيرًا وأن هناك

حكمة وغاية وأن هناك حقا وعدلا وراء حياة الناس في هذا الكوكب ولا بد إذن من حساب ومن جزاء على ما يقدم الناس من أعمال ولا بد إذن من دار غير هذه الدار يتحقق فيها الحق والعدل في الجزاء.

والكون يسبح لله:

إن صاحب القلب الحي حينما يتصور هذا الكون وهو خاضع لله خاشع يأتمر بأمره كأني بهذا القلب في تنافس مع الكون في عبادة الله يشاركه عبادته, سجوده وتسبيحه واخباته (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ) (الإسراء ٤٤)

وما أجمل ما قاله الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

(إن الإنسان المطمئن بذكر الله الغارق في بحر التسبيح بحمد الله يشعر بسكينة عميقة واستئناس بالله وبحلاوة الإيمان الذي خالطت بشاشته القلوب فأحس بنعمة حب الله وحب كل من سرى فيه هذا الأنس.. حينها فقط تتفتق بصيرته على تأمل تسبيح كل المخلوقات للمولى تعالى فيرى هذا العبد البصير كل شيء يسبح بحمد ربه.. الكواكب والبحار والطيور المغردة والأزهار المتفتحة والجداول الرقراقة كل شيء منشغل في تقديس ملك السماوات والأرض.. حتى الطبيعة بجمالها وروعتها تصبح في عين المؤمن تجليا لقدرة الله وروعة خلقه وهي بما فيها من مخلوقات لم تُوجد إلا لتسبح بحمد ربها وتلك عبادتها وهي مسخرة بفضل الخالق عز وجل لخدمة الإنسان الذي يجعل حياته كلها لله تعالى والذي خُلق لعمارة

الأرض والاستخلاف فيها مجتهدا لنيل رضوان الله في كل أيام عمره وفي ذلك فقط معنى العبودية التي خُلق الإنسان لتحقيقها.. وفي تبصر الإنسان بهذا التأمل يتميز عن غيره من المخلوقات بما فضله الله عن باقي خلقه بنعمة القلب والعقل والسمع والبصر والفؤاد إنه كان عنهم مسؤولاً.. فيعبد ربه بإخلاص الموقنين ويفقه أن كل شيء مشغول بالتسبيح حتى لو لم نفقه تسبيحهم... حينها يتشرب قلب المؤمن من نهر هذا التأمل العرفاني فتتحقق السعادة الروحية مهما كان بلاء الدنيا ومصيباتها لأن هذا الإنسان الحي بحياة قلبه يتيقن يقينا يغمر جنبات روحه ويفيض نورا يضيء زوايا قلبه بأن الله لا ينسى من خلقه ولا يترك من دعاه ولا يُخيب رجاء من التمس رضاه.. ينعتق هذا القلب الرباني من أسر الحياة ويرفرف في سماء التقديس لله منسجما مع الكون الخاشع المسبح).

آيات الله التنزيلية (القرآن الكريم):

(إن السائر في رحلة يحتاج إلى دليل يبيّن له من أن أين تبدأ وأين تنتهي وأي شيء يجد في الطريق وأين يمضي وأين يتوقف ليتزود بالزاد.. فإن لم يكن معه هذا الدليل فإنه يخبط خبط عشواء ونهايته إلى البوار.. والرحلة البشرية الكبرى في حاجة إلى دليل يبيّن للسائر فيها معالم الطريق.. والقرآن مرشد السالكين في رحلة الحياة فهوالذي يعرّفنا حقيقة الإنسان

ودوره في الأرض وغاية خلقه وحدود طاقاته ومنشأه ومصيره.. بعبارة أخرى هو دليل الرحلة البشرية من مبدئها إلى منتهاها)[٥٠].

فالقرآن الكريم روح تُحيي القلوب الميتة كما تحيي الأرض بوابل السماء (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ) (الشورى ٥٢)

نعم... القرآن روح ما نزل ببلدة إلا أحياها! وما أُشْرِبَتْهُ نفس إلا أيقظها! وكان لها نورا وبركات.. إن القرآن هو ماء القلوب وحياتها.. تتنزل أنواره على القلوب المنشرحة لكتاب الله تلاوةً وتزكيةً وتعلماً.. أنوار تهطل بالبركات وبالحياة..

لذا فصاحب القلب الموصول بالله اذا تلا القرآن استعرضه فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح منه.. فما حذره مولاه حذره وما خوفه به من عقابه خافه وما رغبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه.. فهو لا يقرأ القرآن بقصد الثقافة والإطلاع ولا بقصد التذوق والمتاع وإنما يتلقي القرآن ليعمل به فور سماعه تماماً كما يقرأ الجندي والموظف كتاب رئيسه ليعمل بمقتضاه وينفذ وصاياه.

وهذا ما أشار إليه الإمام ابن القيم رحمه الله:

(فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر.. فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا

[٥٠] ركائز الإيمان ص ٢٠٧ محمد قطب

والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله.. وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.. فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاجاً إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة.. فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن)[٥١].

فالهدف من نزول هذا الكتاب العظيم لم يقتصر ـ فقط ـ على تلاوته وتلفّظ اللسان به بل لكي تكون آياته منبعاً للفكر والتدبر وسبباً ليقظة الوجدان (ڄ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ) (ص ٢٩).. وتدبر القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله.. وقيل هو التفكر الشّامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة... (إن قلب المتدبر للقران ينتابه تطلّع وتشوّف كما ينتاب المريض شعور بالبحث عن العلاج أو كما ينتاب الحائر شعور بالبحث عن الدلالة والهداية.. إن المتدبر للقرآن في قلبه حاجة ماسة متوقدة لغاية لا يجدها إلا في القرآن فهو يقرأ القرآن لقصد وغاية لا يقر له قرار ولا تستقيم له قراءة ولا يهدأ له بال حتى يظفر بها.. ولا عجب أن يجد القلب راحته في تدبر القرآن وتفهم ألفاظه ومقاصد آياته فهو إنما يتذوق حلاوة المناجاة لكلام الخالق المحكم المفصل.. كيف لا وهو يتسامى عن دنياه ويتصور المعاني ليحلق في

---

[٥١] مفتاح دار السعادة ج١ ص ٥٥٣

آفـات الآيـات فربمـا يعـيش لحظـة مـع معنـى قرآنـي تكلـم بـه الله مشـعرًا بـه خلجـات قلبـه فيجـد لقلبـه حيـاة أخـرى ولقراءتـه طعمًـا ولدعائـه لـذةً.. ثـم يعيــد القــراءة مــرة أخــرى فتُجَــدد لــه معــانٍ في قلبــه لا يصــفها لســانه ولا يكتمهـا قلبـه ثـم يسـتمر في القـراءة فـلا يحتمـل قلبـه الضـعيف تـدفق تلـك المعــاني الضــخمة ورهبــة التأمــل لروعــة خطــاب الــرب وثقــل الأمانــة الــتي طوتهـا حـروف معـدودة.. فعنـدها تـرق الـنفس وتصـيبها السـكينة وتلفهـا الخشــية والرهبــة والرغبــة ويعتريهــا البكــاء والوجــل ثــم يتجلــى للقلــب مــن المعــاني مــا يشــعر بــالقرب مــن الله الكــريم فيطمــئن القلــب إلى ذكــر رحمــة الــرحمن الــرحيم كمــا قــال ســبحانه: (ﮈ ﮉ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) (الزمر ٢٣)[٥٢]

إن صاحب القلـب الموصـول بـالله يتصـفح كتـاب الله وهمتـه (متـى أسـتغني بــالله عــن غــيره؟ متــى أكــون مــن المــتقين؟ متــى أكــون مــن الخاشــعين؟ متــى أكون مــن الصــابرين؟ متــى أكــون مــن الصــادقين؟ متــى أكــون مــن الخــائفين؟ متى أكون من الـراجين؟ متـى أزهـد في الـدنيا؟ متـى أرغـب في الآخـرة؟ متـى أتوب مـن الـذنوب؟ متـى أعـرف الـنعم المتـواترة؟ متـى أشـكره عليهـا؟ متـى أعقـل عـن الله الخطـاب؟ متـى أفقـه مـا أتلـو؟ متـى أغلـب نفسـي علـى مـا تهـوى؟ متـى أجاهـد في الله حـق جهـاده؟ متـى أحفـظ لسـاني؟ متـى أغـض طرفي؟ متى أحفـظ فرجـي؟ متـى أسـتحي مـن الله حـق الحيـاء؟ متـى أشـتغل بعـيبي؟ متى أصـلح مـا فسـد مـن أمـري؟ متـى أحاسـب نفسـي؟ متـى أتـزود

[٥٢] تدبر القرآن ص ٨ –٩ سلمان السنيدي

ليوم معادي؟ متى أكون عن الله راضيًا؟ متى أكون بالله واثقًا؟ متى أكون بزجر القرآن متعظًا؟ متى أكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلاً؟ متى أُحِبُّ ما أحَب؟ متى أبغِض ما أبغَض؟ متى أنصح لله؟ متى أخلص له عملي؟ متى أقصر أملي؟ متى أتأهل ليوم موتي وقد غيب عني أجلي؟ متى أعمّر قبري؟ متى أفكر في الموت وشدته؟ متى أفكر في خلوتي مع ربي؟ متى أفكر في المنقلب؟ متى أحذر مما حذرني منه ربي؟ متى...)[٥٣]

مناراتٌ على الطريق:

عَن ابنِ مَسعودٍ رضي اللَّه عنه قالَ: قال لي النبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (اقْرَأْ علي القُرآنَ) قلتُ: يا رسُولَ اللَّه أقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: (إنِي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي).. فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية (ڎ ڏ ڐ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ)(النساء٤٠) قال (حَسْبُكَ الآن).. فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عِيْناهُ تَذْرِفانِ.

روي أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها سئلت عن أعجب ما رأته من رسول الله.. فبكت ثم قالت: كان كل أمره عجبًا، أتاني في ليلتي التي يكون فيها عندي فاضطجع بجنبي حتى مسّ جلدي جلده ثم قال: (يا عائشة ألا تأذنين لي أن أتعبّد ربي عز وجل؟) فقلت: يا رسول الله والله إني لأحب قربك وأحب هواك (أي: أحبّ أن لا تفارقني وأحب ما يسرك مما تهواه).. قالت: فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صبّ

[٥٣] أخلاق حملة القرآن ص ٤٠ أبوبكر الآجري

الماء ثم قام يصلي ويتهجد فبكى في صلاته حتى بلّ لحيته ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الفجر رآه يبكي فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال له: (ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة هذه الآيات: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ۓ) (آل عمران ١٩٠ -١٩١) فقرأها إلى آخر السورة ثم قال: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. لقد أبكتك آية ما أبكت الكثيرين منا!

فيا قلبي العليل..

كم مرة قرأت هذه الآية؟.. فهل فهمت؟.. هل تأثرت؟.... هل خشعت؟

كم مرة قرأت القرآن ومع ذلك فلا قلبك يخشع ولا عينك تدمع ولا تدبر يشفع.. مع أن هذا القرآن لو أنزل علي جبل لرأيته خاشعا يتصدع.. وكأني بك لا تبصر ولا تسمع!

أما والله لو ذقت حلاوة القرآن لهجرت الشواغل.. ولشفت مواعظه قلبك الغافل..

فعاهدني يا قلبي.. أن تعود إلي كتاب ربك.. تتدبر آياته.. تنتفع بمواعظه.. تقبل عليه بكيانك.. تتخلق بآدابه.. تحفظ حدوده.. تنشغل به.. تصحبه في حلك وترحالك.

قلب يرفرف في سماء المحبة

إنهـا روح الحيـاة وطعـم الوجـود.. وجنـة الـدنيا وغـذاء الـروح.. وبهجـة القلب..

إنها أصل العبـادة وأسـاس السـعادة.. إنهـا أجـلّ مقامـات العابـدين وأعظـم منازل السائرين..

فلـيس للقلـب لـذة ولا نعـيم ولا فـلاح ولا حيـاة إلا بهـا.. وإذا فقـدها القلـب كـان ألمـه أعظـم مـن ألم العـين إذا فقـدت نورهـا والأذن إذا فقـدت سمعهـا والأنـف إذا فقـد شمـه واللسـان إذا فقـد نطقـه بـل فسـاد القلـب إذا خلا منها أعظم مـن فسـاد البـدن إذا خـلا منـه الـروح وهـذا الأمـر لا يصـدق به إلا من فيه حياة...

هل تدري عما أُحدثك؟

إنهـا محبـة الله ومـا أدراك مـا محبـة الله.. إنهـا (المنزلـة الـتي فيهـا تنـافس المتنافسون وإليها شـخص العـالمون وإلى عَلَمهـا شمّـر السـابقون وعليهـا تفـانى المحبون وبِرَوح نسـيمها تـروح العابـدون.. فهـي قـوت القلـوب وقـرة العيـون.. وهي الحياة التي مـن حُرمهـا فهـو في جملـة الأمـوات.. والنـور الـذي مـن فقـده فهـو في بحـار الظلمـات.. والشـفاءُ الـذي مـن عدمـه حلّـت بقلبـه جميـع الأسقام.. واللـذة الـتي مـن لم يظفـر بهـا فعيشـه كلـه همـوم وآلام.. تـالله لقـد

ذهـب أهلـها بشـرف الـدنيا والآخـرة إذ لهـم مـن معرفـة محبـوبهم أوفـر نصيب)[٥٤].

ألا ما أروع محبة الله... إنها (منهـل عـذب لا أعـذب منه على نفس المحـبّ ولا أشهى وهل أمتع لنفس المحـبّ مـن ذكـر مـن يحـبّ وتكـرار حديثـه والترنّـم بـذكراه.. إنّـه امتحـان يفـوز بعـده المـؤمن بهـذه الشـهادة (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ) (البقـرة ١٦٥)

- والـذين آمنـوا أشـد حبّـاً لله... لأنّهـم يـدعون الله رغبـاً ورهبـاً ويعبـدون الله في السـرّاء والضـرّاء فقلـوبهم امـتلأت بتعظـيم الله تعـالى وخشـيته وإجلاله وهيبته.
- والذين آمنـوا أشـدّ حبّاً لله... لأنّهـم يـؤثرون مرضـاة الله تعـالى علـى أيّ هوىً أورغبة ويبذلون في سبيل الله مهجهم وأرواحهم.
- والـذين آمنـوا أشـدّ حبّـاً لله... لأنّهـم يـأوون إلى ركـن الله المكـين ويتمسّكون بحبل الله المتين ويلوذون بحمى الله الذي لا يُضام.
- والـذين آمنـوا أشـدّ حبّـاً لله... لأنّهـم يتقلّبـون علـى الجمـر ويتلـذّذون بالصـبر ولا تـرهبهم قـوّة ولا تأسـرهم شـهوة ولا تحكمهـم نـزوة.. يشتاقون إلى الله ويحبّون لقاءه فيحبّ الله لقاءهم) [٥٥]
- والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله... إنّهـا لشـهادة أكـرم بهـا مـن شـهادة لا أرفـع منها ولا أجلّ ولا أفضل منها ولا أكمل.

١مدارج السالكين ج ٣ ص٦

٢ حديث القلب ص ٢٣- ٢٤ بتصرف يسير د. عبد المجيد البيانوني

من أجمع ما قيل في الحب:

(جرت مسألة المحبة في مكة أيام المواسم فتكلم فيها الشيوخ وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا هات ماعندك ياعراقي.. فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه , متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كاس وده.. فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله.. فهو بالله ولله ومع الله.. فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا مزيد.. جزاك الله ياتاج العارفين).

علامات المحبة:

اعلم أنّ محبّة الله إذا تمكّنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح من الجدّ في طاعته والنشاط لخدمته والحرص على مرضاته والتلذّذ بمناجاته والرضا بقضائه والشوق إلى لقائه والأنس بذكره والإستيحاش من غيره وخروج الدنيا من القلب ومحبّة كلّ من يحبّه الله وإيثاره على كلّ من سواه.. وهذا ما أشار إليه الحارث المحاسبيّ: (المحبّة تسليمك إلى المحبوب بكلّيّتك ثمّ إيثارك له على نفسك وروحك ثمّ موافقته سرّاً وجهراً ثمّ علمك بتقصيرك في حبّه).

وللمحبة علامات كثيرة منها:

١- كثرة ذكر المحبوب.. فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره بقلبه ولسانه.

٢- الانقياد لأمر المحبوب في أي حال والإسراع إليه في السير.

٣- قلة صبر المحب عن المحبوب.. فينصرف صبره إلى الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أحكامه.

٤- اتباع الرسول والتزام سنته (ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ)(آل عمران ٣١)

٥- حب الوحدة والأنس بالخلوة به.. وهجر كل سبب يقصيه عن محبوبه.. وارتياحه لكل سبب يدنيه من محبوبه وبذل كل ما يملك في سبيل مرضاة محبوبه.

فواعجبا لك أيها القلب..

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة منه وأنت لشكر ذاك مضيع.

من ثمرات المحبة:

وهي كما ذكرها د. مجدلي الهلالي [٥٦]:

١- الرضا بالقضاء:

عندما يتعرف الواحد منا على مدى حب ربه له وحرصه عليه فإن هذا من شأنه أن يدفعه دومًا للرضى بقضائه وكيف لا وقد أيقن أن ربه لا

١ من كتابه كيف نحب الله ونشتاق إليه ص ١٦- ٢٥ بإختصار

يريد له إلاّ الخير وأنه ما خلقه ليعذبه، بل خلقه بيده، وكرمه على سائر خلقه ليدخله الجنة، دار النعيم الأبدي، ومن ثمَّ فإن كل قضاء يقضيه له ما هو إلا خطوة يمهد له من خلالها طريقه إلى تلك الدار، فالأقدار المؤلمة والبلايا ما هي إلا أدوات تذكير يُذكِّر الله بها عباده بحقيقة وجودهم في الدنيا وأنها ليست دار مقام بل دار امتحان، وأن عليهم الرجوع إليه قبل فوات الأوان وهي كذلك أدوات تطهير من أثر الذنوب والغفلات التي يقع فيها العبد.

٢- التلذذ بالعبادة وسرعة المبادرة إليها:

كلما ازداد حب العبد لربه ازدادت مبادرته لطاعته واستمتاعه بذكره.. وكان هذا الحب سببًا في استخراج معاني الأنس والشوق إلى محبوبه الأعظم والتعبير عنها من خلال ذكره ومناجاته.

٣- التضحية من أجله والجهاد في سبيله:

المحبة الصادقة لله عز وجل تدفع صاحبها لبذل كل ما يملكه من أجل نيل رضا محبوبه وليس ذلك فحسب بل إنه يفعل ذلك بسعادة وكل ما يتمناه أن تحوز هذه التضحية على رضاه.

٤- الحياء من الله:

فالمحب الصادق في حبه لله عز وجل يستحي أن يراه حبيبه في وضع مشين، أو مكان لا يحب أن يراه فيه، فإذا ما وقع في معصية أو تقصير سارع بالاعتذار إليه واسترضائه بشتى الطرق... وفي هذا المعنى يقول ابن

رجب:(إن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها، وبغض معصيته واجتنابها، وقد يقع المحب أحيانًا في تفريط في بعض المأمورات، وارتكاب بعض المحظورات، ثم يرجع إلى نفسه بالملامة، وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة).

D- الغيرة لله:

عندما يستبد حب الله في قلب العبد فإن هذا من شأنه أن يجعله يغار لمولاه وعلى محارمه أن تنتهك وحدوده أن تُتجاوز وأوامره أن تخالف.

٦- الغنى بالله:

ومع كل الثمار السابقة تأتي أهم ثمرة للمحبة ألا وهي الاستغناء بالله سبحانه وتعالى والاكتفاء به (ئۈ ئۈ ئى) (طه ٧٣).. فينعكس ذلك على تعاملات العبد مع الأحداث التي تمر به فإن ادلهمت الخطوب استشعر معية الله له (ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ) (التوبة ٤٠) وإن تشابكت أمامه الأمور تذكر فردد فى نفسه (ٻ ٻ ٺ ٺ ٿ) (الشعراء ٦٢)

الطريق إلي محبة الله:

قبل أن أحدثك عن الأسباب الموصلة إلي محبة الله عزوجل.. أود أن أشير إلي أمر هام وهو أن عوامل الحب في حياة الإنسان- كما ذكر الدكتور البوطي- ثلاثة لا مزيد عليها:

ا- إحسان يأسر القلب:

العبد أسير الإحسان.. فالإنعام والبر واللطف معاني تسترق مشاعره وتستولي على أحساسيه وتدفعه إلى محبة من يسدي إليه النعمة ويهدي إليه المعروف ولا منعم ولا محسن على الحقيقة إلا الله... فالله تعالي سخر لنا ما في البر والبحر وأرسل السماء بالماء وشق الأرض بالنبات وجعل الأرض فراشاً وذلولاً ومهاداً والسماء بناء ورزقنا من الطيبات واصناف الثمرات ومختلف المطعومات وسائر المشروبات ووهب لنا الأموال والأولاد و..(ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ٺ ٺ ٿ ٿ)(إبراهيم ٣٤)

فإذا تذكرت هذه النعم وأضعافها التي تفد إليك وربطتها بالمنعم المتفضل جل جلاله تفجرت في قلبك من هذه المشاعر محبة عارمة لهذا الذي يتوالى إليك إكرامه ولا تنقطع عنك مننه.

٢- جمال يأخذ بمجامع النفس:

إن مصدر الجمال كله بشتى صوره وأنواعه إنما هو الله جل جلاله.. فمن كان من شأنه أن تأسر صور الجمال المتنوعة لبه وأن تأخذ بمجامع نفسه وكان ممن عرف الله وآمن به لابد أن تهيمن عليه محبة خالق الجمال في الكون ومبدع الرائحة في العطر ومفجر العبق في الزهر ومنسق الألوان في الورد.. وهل هو إلا الله جل جلاله؟ هل من خالق غير الله؟

٣- عظمة تبهر الوجدان:

الله عزوجل عظيم في كل شيء.. عظيم في ذاته وفي أسمائه وصفاته.. عظيم في رحمته.. عظيم في قدرته.. عظيم في حكمته.. عظيم في جبروته وكبريائه.. عظيم في هبته وعطائه.. عظيم في لطفه وخبرته.. عظيم في بره

وإحسانه.. عظيم في عزته وعدله وحمده.. فهو العظيم المطلق.. فلا أحد يساويه ولا عظيم يدانيه.

والآن إلي الأسباب الموصلة لمحبة الله للعبد وهي كما ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين):

١- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه.

٢- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة... وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (رواه البخاري)

فياقلبي المسكين تقرب إلى ربك بالنوافل كي يحبك... (ويحك تتقرب ليحبك!

فما تريد بعد! وكيف حبه؟ حبا يتصل بكل جارحة فيك.. حبا يقلب لك جسدك كله حبا ترى به سبحانه كل الوجود.. وتسمع به.. وتبطش به.. وتسير به.. ليصل الحب إلى روحك فتستعيذ به عز وجل فيعيذك..

وتسأله فيعطيك.. وأنت ما عليك إلا القرب يحبك الله.. فيأتيك الموت وأنت له مؤثر وإليه مشتاق.. وما عليك إلا أن تتقرب) [٥٧]

٣- دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب والعمل والحال.. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

وأفضل وسيلة لذكر الله كما أشار- الدكتور البوطي- أن تربط النعم التى تفد إليك بالمنعم جل جلاله بألا تتلقاها غافلاً عن مصدرها الذى وصلت إليك منه.. ونظراً إلي أن نعم الله تعالي سلسلة متصلة الحلقات لا تكاد تنقطع عنك.. إذن لا بدّ أن تكون دائما مع الله في استقبالك لنعمه بفكرك ووجدانك وهذا هو أعلي مراتب ذكر الله.. فإذا أخذت نفسك بهذا الورد، بل الغذاء الروحي المتميز واستقمت على ذلك دون انقطاع تراقب المنعم المتفضل كلما تقبلت في نعمة من نعمه فإن قلبك يصبح وعاء يفيض بحبه وحده وتزول منه محبة الأغيار.

٤- إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

يقول إبن القيم في شرح هذه العبارة (إيثار رضى الله على رضى غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن)... وهذا كله لا يكون إلا لثلاثة أمور: قهر هوى النفس - مخالفة هوى النفس - مجاهدة الشيطان وأوليائه.

١مقال ربيع المؤمن الشيخ عبد الحميد الكبتي

٥- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة.. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

٦- مشاهدة بره واحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة.. فإنها داعية إلي محبته.

(إن الإنسان في كل الأحوال مفطور على حبّ النعم بأنواعها ولكنه عندما يعلم أن المتفضل عليه بها هوالله وأن الذي يبعث الشعور بلذتها ونعيمها هو الله فلا بدّ أن يتوجه قلبه بالحب إليه، لأن القلوب جبلت على حبّ من أحسن إليها، وقد علم صاحب هذا الشهود أن لا محسن في الكون كله إلا الله، والوسائط والأسباب التي تراها إن هي إلا جنود وخدم تحت سلطان الله.. فإذا ثبت لصاحب هذا الشهود أن المنعم والمتفضل دائماً هو الله، وأن الذي يرجى نفعه ويخشى ضرّه واحد لا ثاني له، وهو الله، فلا شك أن المحبوب الأول والمعظم الأول والْمُهاب الأول لديه هوالله تعالى، ثم تأتي محبته للمتع التي فطر على حبها في الدرجة الثانية بل الثالثة) [٥٨]

٧- وهو من أعجبها: انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.. والانكسار بمعنى الخشوع وهو الذل والسكون.

---

1 الحكم العطائية ج ١ ص ١٩٠

٨- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالإستغفار والتوبة.

٩- مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

١٠- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

 منارات على الطريق:

عبد الله بن جحش رضي الله عنه... أمنية محب:

عن إسحاق بن سعد ابن أبي وقاص قال: حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا تأتي ندعو الله تعالى , فخلوا في ناحية فدعا سعد رضي الله عنه فقال: يا رب إذا لقينا العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدًا حرده (غضبه) أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه فأمنّ عبد الله ثم قال: اللهم ارزقني غدا رجلا, شديداً بأسه شديداً حرده فأقاتله ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع(يقطع) أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت لي: يا عبدالله فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول فيك وفي رسولك فتقول: صدقت.. قال: سعد كانت دعوته والله خيرًا من دعوتي فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلق في خيط.



اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك.. اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله لي عوناً على ما تحب وما زويت عني مما أحب فاجعله لي فراغاً فيما تحب.. اللهم اجعل حبك إليّ أحب من الماء البارد على الظمأ.

قلب لباسه التقوى

الانسان مزيج من حفنة من تراب ونفخة من روح الله.. والأولى هي التي تحتوي على جوانب ضعفه أما الثانية فتستر سوءات التراب.. فإرادة الانسان تستر شهواته.. وعقله يستر جهله وتقواه تستر غرائزه...

إن لباس التقوى هو أفضل ما يستر به الإنسان عجزه وجهله وغروره ولولا هذا اللباس لظهرالإنسان أشد سبعية من الذئب وأخبث حيلة من الثعلب وألدغ من الحية..

ولباس التقوى يجمل العبد ويستره.. فإذا زال عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما يسترها(ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ)(الأعراف ٢٦)

وتشبيه التقوى باللباس تشبيه قوي الدلالة معبّرٌ جدّاً لأنّه كما أنّ اللباس يحفظ البدن من الحرّ والبرد ويقي الجسم عن الكثير من الأخطار ويستر العيوب الجسمانية وهو بالإضافة الى هذا وذاك زينة للإنسان ومصدر جمال.. كذلك التقوى فإنّها مضافاً إلى ستر عيوب الانسان ووقايته من الكثير من الأخطار الفردية والإجتماعية تعدّ زينة كبرى له... زينة ملفتة للنظر تضيف إلى شخصيته رفعة وسمّواً وتزيدها جلالا وبهاءً. فهناك تلازم بين شرع الله اللباس لستر العورات والزينة وبين التقوى.. كلاهما لباس هذا يستر عورات القلب ويزينه وذاك يستر عورات الجسم ويزينه.

إذا المــرء لم يلــبس ثيابــا مــن التقــى تقلــب عريانــا وإن كــان كاســيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

 حقيقة التقوى في عيون الصالحين:

- قــال طلــقُ بــنُ حبيــب: التقــوى أن تعمــل بطاعــة الله تعــالى علــى نــور مــن الله تعــالى(أي علــم وفقــه وبصــيرة) ترجــو ثــواب الله تعــالى وأن تــترك معصــية الله تعــالى علــى نــور مــن الله تعــالى تخــاف عقــاب الله تعالى.
- وقــال عمــر بــن عبــدالعزيز رحمــه الله: (لــيس تقــوى الله بصــيام النهــار ولا بقيــام الليــل والتخلــيط فيمــا بــين ذلــك(أي اقــتراف الــذنوب وخلط الأعمال الصالحة بمـا يفسـدها) ولكـن تقـوى الله تـركُ مـا حـرَّم الله وأداء مـا افـترض الله.. فمـن رُزق بعـد ذلـك خـيرًا فهـو خـير إلى خير.
- وقال الإمـام ابـن رجـب: وأصـل التقـوى أن يجعـل العبـد بينـه وبـين ما يخافـه ويحـذره وقايـة تقيـه منـه، فتقـوى العبـد لربـه أن يجعـل بينـه وبين ما يخشاه مـن ربـه مـن غضـبه وسـخطه وعقابـه وقايـة تقيـه مـن ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.
- وقـال الإمـام القشـيري: وحقيقـة الإتقـاء: التحـرر بطاعـة الله مـن عقوبتــه.. وأصــل التقــوى: اتقــاء الشــرك.. ثــم بعــد ذلــك اتقــاء المعاصـي والسـيئات.. ثـم بعـد ذلـك اتقـاء الشـبهات ثـم بعـد ذلـك ترك الفضلات(فضول المباح).

- ولما سأل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أبيّ ابن كعب فقال له: ما التقوى؟ فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً فيه شوك؟! فقال: نعم، قال: فماذا فعلت؟ قال عمر: أشمّر عن ساقي وأنظر الى مواضع قدماي وأقدم قدماً وأؤخر أخرى مخافة أن تصيبني شوكه.. فقال أبيّ ابن كعب: تلك هي التقوى.. وصدق والله أبي بن كعب.. فطريق الحياة مليء بأشواك من الرغبات والشهوات والشبهات والمطامع والمخاوف والوساوس و...

إخواني في الله..

إن التقوى في حقيقتها ليست ادعاءً مجرداً عن الحقيقة والإنتماء وإنما هي شعور يختلج في الصدر فيظهر على الجوارح من خلال العمل الصالح والخوف والخشية من الله سبحانه والإستعداد ليوم القدوم على الله.. فهي المحرك للمؤمن والباعث للمتواني على القيام بالتكاليف الشرعية التي افترضها الله على العباد.. فكم من أعمال وواجبات تضعف عنها النفوس الضعيفة وتستثقلها القلوب المريضة ما حمل المؤمن على القيام بها والعناء من أجلها والصبر عليها إلا التقوى.

مراتب التقوى:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: التقوى ثلاث مراتب:

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

الثانية: حميتهما عن المكروهات.

الثالثة: الحمية عن الفضول وما لا يعني.

فالأولى: تعطي العبد حياته.. والثانية: تفيد صحته وقوته.. والثالثة: تكسبه سروره وفرحه وبهجته)[٥٩].

 من ثمرات التقوى:

١- سببٌ للخروجِ من كلِ ضيقٍ وسببٌ لنيلِ الرزق (گ گ گ گ ں ں ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ) **(الطلاق٢-٣).**

٢- تيسيرُ وسهولة كل أمر (ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئې) **(الطلاق٤) قال سيد قطب رحمه الله: (واليسر فى الأمر غاية ما يرجوه إنسان وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده فلا عنت ولا مشقه ولا عسر ولا ضيقة.. يأخذ الأمور بيسر فى شعوره وتقديره.. وينالها بيسر فى حركته وعمله ويرضاها بيسر فى حصيلتها ونتيجتها ويعيش من هذا فى يسر رخى ندى حتى يلقى الله)**

٣- الفوز بمحبةِ اللهِ (ڈ ڈ ۀ ۀ ہ) **(التوبة ٤) والظفر بمعيته** (ڳ ڳ گ گ گ گ ں) **(البقرة١٩٤) فيا فوز من نال محبة الله عزوجل.. وياعظيم سعادته في الدنيا والآخرة.**

---

[٥٩] الفوائد ص ٤٦

٤- قَبـولُ الأعمـالِ (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ) (المائـدة٢٧) فكمـا أن الثمـرة لا تنبـت إلا علي شـجرة.. فكـذلك العمـل لا يكـون صـالحا صـادقا ولا يُقبـل عنـد الله إلا إذا انبثق من الإيمان ونتج عن التقوي.

٥- الهدايــة للصــواب والتمييــز بــين الحــق والباطــل(ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ) (الأنفال٢٩) عندما يكون الإنسـان فـى صـحبة التقـوى.. فإنـه يصـبح علـى نـور مـن ربّـه يميـز بـه الحـق مـن الباطـل ويهتـدى إلى مـواطن الخـير والهـدي فـلا تتفرق به السبل ولا يضل الطريق إلى اللّه أبدا.

٦- الفوز بالجنة (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ)(القمر٥٤-٥٥)

وهكـذا... فـالتقوى كمـا قـال الإمـام الغـزالى رحمـة الله: (كنـز عزيـز فلـئن ظفرت به كم تجد فيه مـن جـوهر شـريف وخـير كـثير ورزق كـريم وفـوز كـبير وغنم جسـيم وملـك عظـيم.. فكـأن خـيرات الـدنيا والأخـرة جمعـت فجعلـت تحت هذه الخصـلة الواحـدة التـى هـى تقـوى الله.. وتأمـل مـا فـى القـرأن مـن ذكرهـا.. فكـم علـق بهـا مـن خـير وكـم وعـد عليهـا مـن خـير وثـواب وكـم أضاف إليها من سعادة).

الطريق إلى التقوى:

١- استشـعار القلـب مراقبـة الله والحيـاء منـه: إن استشـعار القلـب مراقبـة الله عـز وجـل لـه في السـر والعلـن.. في الليـل والنهـار.. في الخلـوة والجلـوة.. يسـمع كلامـه ويـرى مكانـه.. لا تخفـى عليـه خافيـة (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ

ﭺ) (الحديـد٤) أورثـه ذلـك التقـوى وراقـب نفسـه أن لا يراهـا حيـث نهاهـا ولا يفتقدها حيث أمرها.

إذا مـا خلـوت بريبـة في ظلمـة والـنفس داعيـة إلى العصـيان فإسـتحي مـن نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

٢- مجاهـدة الـنفس ومغالبـة الهـوى: إن لأهـــواء الـــنفس ســـلطانًا قـاهرًا.. فـإذا لم يُقـم الإنسـان علـى نفسـه ناهيـا ينهاهـا وزاجـرا يزجرهـا عـن اتبـاع هواهـا كلمـا دعتهـا دواعيـه انقـاد لهـذا الهـوى الـذي يغلبـه علـى أمـره ويطرحـه فـى مطـارح الضـلال والهـلاك.. لـذا يجـب مجاهـدة الـنفس وكـبح جماحها لتتحرر مـن رق الشـهوة وتخـرج مـن سـجن الهـوي حـتي تنـال الفـلاح والنجـــــاة (ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ) (النازعـــــات٤٠ -٤١) ونهـى الـنفس عـن الهـوى هـو نقطـة الإرتكـاز في دائـرة الطاعـة.. فـالهوى هـو الـدافع القـوي لكـل طغيـان وكـل تجـاوز وكـل معصـية وهـو أسـاس البلـوى وينبوع الشر وقل أن يـؤتى الإنسـان إلا مـن قبـل الهـوى.. فالشـيطان لـيس لـه مدخل علـي ابـن آدم إلا مـن بـاب هـواه فالجهـل سـهل علاجـه ولكـن الهـوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.

٣- معرفـة مكائـد الشـيطان ومصـائده: إن الشـيطان يجـري مـن ابـن آدم مجـري الـدم ولا يـألو جهـدا في غوايتـك واضـلالك.. فكلمـا انهـزم في جولة بحث عن أخـري.. فمداخلـه إلـي القلـب كـثيرة منهـا: الضـعف واليـأس والقنـوط والبطـر والفـرح والعجـب والفخـر والظلـم والبغـي والجحـود والكنـود والعجلـة والطـيش والسـفه والبخـل والشـح والحـرص والجـدل

والمِـراء والشــك والريبــة والجهــل والغفلــة واللــدد في الخصــومة والغــرور والادّعـاء الكـاذب والهلـع والجـزع والمنـع والتمـرد والطغيـان وتجـاوز الحـدود وحب المال والافتتان بالدنيا و..

D- محبة الله عزوجل:[٦٠] إن الحـب الصـادق لله عزوجـل يفـرغ القلـب مـن محبـة الشـهوات ويسـوقه إلـي بغـض المعاصـي والسـيئات ويدفعـه إلـي المحافظة علـي الطاعـات واجتنـاب المحرمـات.. فـإذا مـا وقـع في المعصـية.. فـإن محبته لله ستدفعه إلي التوبة النصوح بدون تسويف أو تأجيل.

٦- معرفة أضرار المعاصي والآثام [٦١]

وخلاصـة القـول يخـبرك بهـا الإمـام الغزالـي رحمـه الله: (مـن أراد أن يتقـى الله فلـيراع الأعضـاء الخمسـة فـإنهن الأصـول: وهـى العـين والأذن واللسـان والقلب والـبطن فيحـرص عليهـا بالصـيانة لهـا عـن كـل مـا يخـاف منـه ضـرراً فـى أمـر الـدين مـن معصـية وحـرام وفضـول وإسـراف مـن حـلال.. وإذا حصل صـيانة هـذه الأعضـاء فمرجـو أن يكـف سـائر أركانـه ويكـون قـد قـام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله تعالى).

إخواني في الله...

سـار المتقـون ورجعنـا.. ووصـلوا وانقطعنـا.. وأجـابوا الـداعي وامتنعنـا ونجـوا مـن حبائـل الشـهوات ووقعنـا.. سـافر القـوم علـى رواحـل الصـدق

---

[٦٠] راجع ما كتبناه تحت عنوان قلب يرفرف في سماء المحبة

[٦١] راجع ما كتبناه عن أضرار المعاصي تحت عنوان قلب يغتسل في أنهار التوبة

فقطعـوا أرض الصـبر حتـى وقعـوا بريـاض الأنـس.. فعبقـت قلـوبهم بنشـر القرب وتعطرت بنسيم الوصل.. فمتي نلحق بهم؟

دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها.

اللهم إني أسالك الهدي والتقي والعفاف والغني.

قلب دائم المراقبة

هـل تصـورت يومـاً وأنـت في مجلـس مـا وأخـبرت بـأن هنـاك آلـة تسـجيل وضـعت خصيصـا مـن أجـل مراقبـة حركاتـك وسـكناتك.. أقوالـك وأعمالك.. مشيك وجلوسك؟!

قل لي بربك.. كيف سيكون حالـك؟.. هـل ستقدم علي عمـل يجلـب لـك الأذي والضرر؟

هـل ستفعل شـيئ يجـني عليـك اللـوم والعتـاب؟... ألا تبـالغ في الإنضـباط التـام ومراجعـة نفسـك في كلماتـك وفي حركاتـك وفي سـكناتك؟ إن الإنسـان(ليرجف ويضـطرب ويفقـد توازنـه وتماسـكه حـين يشـعر أن السـلطان في الأرض يتتبعـه بجواسيسـه وعيونـه ويراقبـه في حركتـه وسـكونه.. وسـلطان الأرض مهما تكـن عيونـه لا يراقـب إلا الحركـة الظـاهرة وهـو يحتمـي منـه إذا آوى إلى داره وإذا أغلـق عليـه بابـه أو إذا أغلـق فمـه.. أمـا قبضـة الجبـار فهـي مسـلطة عليـه أينمـا حـل وأينمـا سـار وأمـا رقابـة الله فهـي مسـلطة علـى الضـمائر والأسـرار.. فكيـف؟.. كيـف بهـذا الإنسـان في هـذه القبضـة وتحـت هذه الرقابة؟!)[٦٢]

كيـف بـك إذا كـان الـذي يراقبـك (ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ)؟ فهـو يراقبـك في كـل مكـان وفي أي زمـان في حلـك وترحالـك.. في بيتـك وعملـك.. أمـا تسـتحي

[٦٢] في ظلال القرآن ج٦ ص٣٣٦٢

مـن ربـك عزوجـل وأنـت تبـارزه بالمعاصـي والمنكـرات أمـا علمـت أنـه (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ) (غافر ١٩)

أمـا علمـت أنَّ الله عـزّ وجـل يعلـم السـرَّ وأخفـى.. مُطّلـعٌ عليـك.. نـاظرٌ إليـك.. يعلـمُ سِـركَ وجهـرك.. مـا أخفيـتَ ومـا أعلنـت.. مـا أبطنـتَ ومـا أظهرت (ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ)(الأحزاب ٥٢)

يا الله.. إنهـا الرهبـة والقشـعريرة تمـلأ النفـوس... عـين الله البصـيرة النافـذة إلى كل شـيء في هـذا الوجـود.. إلى كـل نأمـة وكـل خـاطرة وكـل فكـرة وكـل شعور.. إنهـا تـراك وترقبـك سـواء كنـت متيقظـاً لهـذه المراقبـة أم غـافلاً عنهـا وسواء أعددت نفسك لها أم كنت من المعرضين.

 حقيقة المراقبة في عيون الصالحين:

- يقـول ابـن القـيم رحمـه الله: (المراقبـة دوام علـم العبـد بـاطلاع الحـق سـبحانه وتعـالى علـى ظـاهره وباطنــه.. فاســتدامته لهــذا العلــم واليقين هـي المراقبـة وهـي ثمـرة علمـه بـأن الله سبحانه رقيـب نـاظر إليه سامع لقوله وهو مطلـع علـى عملـه كـل وقـت وكـل لحظـة وكـل نفس وكل طرفة عين)
- وعرفهـا ابـن المبـارك رحمـه الله فقـال: (كـن أبـدًا كأنـك تـرى الله عـزَّ وجلَّ).
- وقـال إبـراهيم الخـواص رحمـه الله: (المراقبـة خلـوص السـر والعلانيـة لله عزَّ وجلَّ).

- وقيل: (المراقبة مراعاة القلب لملاحظة الحق مع كل خطرة وخطوة).

وخلاصة القول:

المراقبة: أن يتذكر المسلم في قيامه وقعوده وخلوته وجلوته وجده وهزله وفي حالاته كلها أن الله مطلع عليه وناظر إليه.. فلا يعصيه وهو يذكر أنه يراه ولا يخاف أو ييأس وهو يعلم أنه معه، ولا يشعر بالوحشة وهو يناجيه، لا يحس بالحاجة إلى أحد وهو يطلب منه ويدعوه.. فإن عصى ومن طبيعته أنه يعصي رجع وتاب فتاب الله عليه.

المراقبة نظر قبل العمل ونظر في العمل: [٦٣]



أما قبل العمل:

فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة؟ أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق.. فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته.. وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا

---

[٦٣] إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ج٤ ص٣٤٥- ٣٤٩ بإختصار

محيص لأحد عنه فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان.. فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة.

وأما عند الشروع في العمل:

وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون.. فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب.. فلا يخلو العبد أما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح.. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر.. وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها.

 من ثمرات المراقبة:

١- توطيد العلاقة بين العبد وبين ربه: واقترابه منه حتي يصل لمرحلة الإحسان فيعبده ويخاطبه كأنه يراه كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام.

(تعبـد الله كأنـك تـراه.. إنـه عـالم واسـع يفـيض بالحـب ويفـيض بـالتقوى ويفــيض بالأمــل ويفــيض بالرهبــة ويفــيض بــالنور.. الإنســان في مواجهــة مـولاه.. في مواجهـة الـذات العظمـى الخالقـة القـاهرة المسـتعلية المشـرفة علـى جميـع الكائنـات.. الإنسـان في مواجهـة مـولاه.. بنفسـه جميعـاً بكـل جوارحهـا وكل خلجاتهـا.. بظاهرهـا وباطنهـا.. بـدقائقها ولطائفهـا.. بأسـرارها ومـا هـو أخفى من الأسرار.. وكلها مكشوفة لله.. (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)!

وإنــه لخــير لــك أن تــرى الله كمــا يــراك.. خــير لــك أن تتوجــه إلى حيــث ترقبـك العـين البصـيرة النافـذة فتـأمن المفاجـأة.. إنـه يـراك!.. يـراك بكـل مـا تصنع بنفسـك مـن (تدسـية) ومـن سـوء.. يـراك بخبائثـك وأوضـارك.. يـراك.. فمــا الفائــدة في التســتروالاختفاء؟ بــل مــا الفائــدة مــن الإعــراض والانصـراف؟.. مـا شـيء مـن ذلـك بمسـتطاع.. فخـير لـك أن تـراه وهـو يـراك.. وإنـه لا يكلفـك مـن أمـرك رهقـا.. وحـين تتوجـه إليـه.. حـين ترقبـه كأنـك تـراه.. حـين تنظـف نفسـك وتحـرص علـى ألا تتلـوث في الطريـق.. حين تحاسـب نفسـك علـى كـل صـغيرة وكـبيرة خشـية أن تكـون قـد حـدث.. حين تراجع كـل عمـل عملتـه وكـل كلمـة قلتهـا وكـل خـاطرة وسوسـت بهـا نفسـك وكـل حركـة تحركتهـا جارحـة مـن جوارحـك.. حينئـذ يسـتقيم الأمـر كله في هذه الحياة) [٦٤]

---

[٦٤] قبسات من الرسول ص ٨٣-٨٤ بإختصار محمد قطب

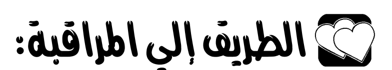
٢- الورع: والـورع في الشـرع لـيس هـو الكـف عـن المحـارم والتحـرُّج منهـا فقط بل هو بمعنى الكف عـن كـثير مـن المبـاح والإنقبـاض عـن بعـض الحـلال خشية الوقوع في الحرام

وقـال يحيـى بـن معـاذ: الـورع علـى وجهـين:(ورع في الظـاهر وورع في البـاطن.. فـورع الظـاهر: أن لا يتحـرك الإنسـان إلا لله وورع البـاطن: هـو أن لا تدخل قلبك سوى الله)

٣- محاسبة النفس: إن الضـمير الـذي يربيـه الإيمـان برقابـة الله وبحسـاب الآخرة ضمير حي يقظ مرهـف الحساسـية يحاسـب المـؤمن قبـل أن يقـوم علـى العمـل: مـاذا تعمـل، ولمـاذا تعمـل ولمـن تعمـل ويحاسـبه بعـد العمـل: مـاذا عملـت؟ ولمـاذا عملـت؟ وكيـف عملـت؟ قـال الحسـن البصـري: لا يلقـى المـؤمن إلا يعاتـب نفسـه: مـا أردت بكلمـتي؟ مـا أردت بـأكلتي؟ مـاذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

وقـال مالـك بـن دينـار: رحـم الله امـرءاً قـال لنفسـه: ألسـت صـاحبة كـذا؟ ألست صـاحبة كـذا؟.. ثـم زمهـا ثـم خطمهـا ثـم ألزمهـا كتـاب الله فكـان لـه قائداً. ٤- تحقيق الإخلاص في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

D- تورث خشية الله تعالي: في السر والعلن.



الطريق إلي المراقبة:

١- كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته:

إن استحضـار معـاني الأسمـاء الحسـنى الـتي تـؤثر في هـذا المقـام (الرقيـب، الحفـيظ والعلـيم والخـبير، والشـهيد، والمحيط، واللطيـف) الـتي إذا أدرك العبـد معناهـا وتعبـد ربـه بمقتضـاها فـإن ذلـك يـؤدي بـه إلى تحصـيل مقـام المراقبـة.. ومـن تعبّـد الله بإسمـه الرقيـب أورثـه ذلـك المقـام المسـتولي علـى جميـع المقامات وهـو مقـام المراقبـة لله في حركاتـه وسـكناته لأنَّ مـن علـم أنّـه رقيـب علـى حركـات قلبـه وحركـات جوارحـه وألفاظـه السـرية والجهريـة واسـتدام هـذا العلـم فإنّـه لا بـد أن يثمـر لـه هـذا المقـام الجليـل وهـذا سـرٌ عظـيم مـن أسرار المعرفة بـالله.. انظـروا إلى ثمراتـه وفوائـده العظيمـة وإصـلاحه للشـؤون الباطنة والظاهرة.

٢- كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان:

ولا شـك أن ذكـر القلـب أفضـل مـن ذكـر اللسـان بمجـرده.. لأن الإنسـان قـد يلـهج بلسـانه وقلبـه في غايـة الغفلـة.. فـذكر القلـب يثمـر المعرفـة ويُهـيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة.

٣- دوام محاسبة النفس:

وإليك طريقة إبراهيم التيمي في محاسبة نفسه حيث يقول:

(مثلت(تخيلـت) نفسـي في الجنـة آكـل مـن ثمراتهـا، وأشـرب مـن أنهارهـا وأعانق أبكارهـا.. ثـم مثلـت نفسـي في النـار آكـل مـن زقومهـا، وأشـرب مـن صديدها، وأعالج سلاسـلها وأغلالهـا.. ثـم قلـت لنفسـي: يـا نفـس، أي شـيء تريـدين؟ قالـت: أريـد أن أرد إلى الـدنيا، فأعمـل صـالحاً، قـال: فأنـت في الأمنية فاعملي!!)

فهـذه طريقـة اتخـذها الرجـل في إيقـاظ نفسـه وإن شـئت فقـل: في إحيـاء ضـميره لقـد تخيـل المتوقـع واقعـاً والغائـب حاضـراً.. ثـم قـال لنفسـه بعـد أن عرض عليها الصورتين: تخيري واعملي...

وأنت كيف تحاسب نفسك؟!

منارات على الطريق:

فأين الله:

قـال نـافع: خرجـت مـع عبـد الله ابـن عمـر في بعـض نـواحي المدينـة ومعـه أصـحاب لـه فوضـعوا سـفرة فمـر بهـم راع... فقـال لـه عبـد الله: هلـم يـا راعي فأصب مـن هـذه السـفرة.. فقـال: إنـي صـائم.. فقـال لـه عبـد الله: في مثـل هـذا اليـوم الشـديد حـره وأنـت في هـذه الشـعاب في آثـار هـذه الغـنم وبين الجبـال ترعـى هـذه الغـنم وأنـت صـائم.. فقـال الراعـي: أبـادر أيـامي الخاليـة.. فعجـب ابـن عمـر وقـال: هـل لـك أن تبيعنـا شـاة مـن غنمـك نجتزرهـا ونطعمـك مـن لحمهـا مـا تفطـر عليـه وتعطيـك ثمنهـا.. قـال: إنهـا ليسـت لـي إنهـا لمـولاي قـال: فمـا عسـى أن تقـول لمـولاك أكلـها الـذئب؟ (يريد أن يختبره) فمضـى الراعـي وهـو رافـع إصـبعه إلى السـماء وهـو يقـول فأين الله؟؟؟ قال: فلـم يـزل ابـن عمـر يقـول: قـال: الراعـي فـأين الله؟ فمـا عـدا أن قـدم المدينـة فبعـث إلى سـيده فاشـترى منـه الراعـي والغـنم فـأعتق الراعــي ووهــب لــه الغــنم. فيــا منتهكــاً حرمــاتِ الله في الظلمــات.. في الخلـوات.. في الفلـوات بعيـداً عـن أعـين المخلوقـات.. هـل سـألت نفسـك

أيـن الله؟ إذا مـا خلـوت الـدهر يومـاً فـلا تقـل خلـوت ولكـن قـل علـي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب.

بائعة اللبن:

بينمـا عمـرُ بـن الخطـاب رضـي اللهُ عنـه يعـسُ ليلـةً مـن الليـالي ويتتبـع أحـوال الأمـة إذ تعـب واتكـأ علـى جانـب جـدار في جـوف الليـل ليسـتريح، فإذا بمرأةٍ تقولُ لأبنتها: أمذقي(أخلطي) اللبنَ بالماءِ ليكثرَ عند البيع.

فقالت البنت: إن عمرَ أمرَ مناديه أن ينادي أن لا يشابُ اللبنَ بالماء.

فقالتِ الأم: يا ابنتي قومي فإنك بموضعٍ لا يراكِ فيه عمرُ ولا مناديه.

فقالــتِ البنــتُ المستشــعرةُ لرقابــةَ الله: أي أمــاه فــأين الله؟ وللهِ مــا كنــتُ لأطيعَه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

فيا قلبي العليل...

يا مطلقـا نفسـه فيمـا يشـتهي ويريـد.. اذكـر عنـد خطواتـك المبـدئ المعيـد.. وخـف قـبح مـا جـرى فالملـك يـرى والملـك شـهيد.. هـلا اسـتحيت ممـن يـراك؟.. إذا ركبـت مـن هـواك ماعنـه نهـاك.. سـتبكي والله عينـاك ممـا جنـت يداك.. أما تعلم أنه بالمرصاد فقل لي أين تحيد؟ (ٻ ٻ ٻ ٿ ٿ)

ياقلبي الغافل...

كلامـك مكتـوب.. وفعلـك كلـه محسـوب.. وأنـت غـداً مطلـوب.. ولـك ذنوب ولاتتوب.. وشمـس الحيـاة قـد أخـذت في الغـروب.. فمـا أقسـى قلبـك

مـن بـين القلـوب وقـد أتـاه مـا يصـدع الحديـد وأنـت عنـه تحيـد و(ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ)(ق١٨)

دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم ارزقني مراقبتك في السر والعلانية واجعلني أعبدك كأنني أراك.

قلب جنته الرضا

إن بعض الناس تنزل به النازلة من مصائب الدهر، فيظل فيها شهوراً وأعواماً يجتر آلامها ويستعيد ذكرياتها القاتمة متحسراً تارة، متمنياً أخرى.. شعاره: ليتني فعلت، وليتني تركت، لو أنى فعلت كذا لكان كذا... أما صاحب القلب الموصول بالله فهو لا يسيطر عليه الجزع والفزع ولا يستبد به السخط والهلع بل يستقبل مصائب الدهر بثبات كثبات الجبال.. فهو قد قوي يقينه بربه وآمن بقضائه وقدره.. فلا يسلم نفسه فريسة للماضي وأحداثه بل يعتقد أنه أمر قضاه الله كان لابد أن ينفذ وما أصابه من قضاء الله لا يقابل بغير الرضى والتسليم.. إنه لا يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن يقول: قدر الله وما شاء فعل.. فإن ﴿ لو﴾ تفتح عمل الشيطان كما علمه الرسول عليه الصلاة والسلام... إنه يوقن أن قدر الله نافذ لا محالة.. فلم السخط؟ ولم الضيق والتبرم؟! وهو قد استقر في أعماقه قول الله تعالي (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ) (الحديد ٢٢-٢٣)

فهو يعلم أن (ذلك كله من عند اللّه الذي يملك كل شى ء.. وهو سبحانه المتصرف فى ملكه كيف يشاء لا معقب لحكمه.. لذا فإن من شأن المؤمن باللّه أن يرضى الرضا المطلق بكل ما يصيبه من محبوب أو مكروه.. فالإيمان ولاء ورضى وتسليم وإنه لا يجتمع إيمان واعتراض على حكم أحكم الحاكمين رب العالمين.. وذلك هو عزاء المؤمن عند كل مصيبة

وروح نفسه عند كل كرب.. وهو لطف من لطف اللّه بعباده المؤمنين الذين تخفّ عندهم المصائب ويستساغ لديهم طعم المكاره)[٦٥].

حقيقة الرضا في عيون الصالحين:

- قال عنه ابن القيم رحمه الله: (الرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا.. من لم يدخله في الدنيا لم يتذوقه في الآخرة وهو من أعمال القلوب نظير الجهاد من أعمال الجوارح، فإن كل واحد منهما ذروة سنام الإيمان).
- وقال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى: (الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط).
- وعرفه الإمام المحاسبي بأنه: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.
- وقال أبو علي الدقاق (ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء).
- وصدق والله أبو علي الدقاق.. فليس معنى الرضا أن لا تتألم من المصيبة.. المُصيبةُ مُصيبة والمُصيبة مؤلمة والذي يتألّم ما فعل شيئاً خلاف الشرع لكن هُناك ألم محفوف بالرِضا والتسليم لقضاء الله وقدره.. ومثله في ذلك مثل المريض الذي يحس بألم حقنة الدواء ويشعر بمرارة العلاج ولكنه يرضى بذلك لعلمه أنه سبب الشفاء حتى إنه ليفرح بمن يقدم له الدواء ولو كان مرًّ المذاق كريه الرائحة.

---

[٦٥] التفسير القرآني للقرآن

- وقيل ليحيى بن مُعاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ قال: إذا أقام نفسه على أربعة أُصول فيما يعامل ربَّه فيقول: إن أعطيتني قَبِلْت، وإِن منعتني رضيت، وإِن تركتني عبدت، وإِن دعوتني أجبت).

وخلاصة القول:

الرضا: سكون القلب إلى فاطره ومعبوده ومحبوبه ورضاه مما اختار الله له فهو راضٍ بمحبوبه.. راضٍ بما يناله من محبوبه.

ورضا العبد بالنسبة للرب سبحانه وتعالى ينقسم إلى قسمين:

١- الرضا بالله تعالى ربا:

ويتضمن الرضي بمحمد عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا وبالإسلام دينا.. وهذا ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام: (ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رضي بِاللّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولا) (رواه مسلم ٣٤)

إنه الرضا بربوبيته سبحانه المتضمن الرضا بتدبيره وتقديره فهو الخالق والرازق والمحي والمميت والذي يدبر الأمر ويصرِّف هذا الكون ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويغني من يشاء ويفقر من يشاء وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ولا يملك أحداً غير الله تبارك وتعالى التصرف في مثقال

ذرة في هـذا الكـون إلا بـإذن الله وقـدره وتـدبير منـه تبـارك وتعـالى(ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ)(الأنعام١٦٤)

ومن لوازم الرضـا بالإِسـلام دينـاً أن يتمسـك بـأوامره ويبتعـد عـن نواهيـه ويستســلم لأحكامــه ولــو كــان في ذلــك مخالفــة لهــوى نفســه ومعارضــة لمصالحه الخاصة (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ)(آل عمران ٨٥)

ومـن لـوازم الرضـا بسـيدنا محمـد صـلى الله عليـه وسـلم نبيـاً ورسـولاً أن يتخـذ شخصـيته مـثلاً أعلـى وأسـوة حسـنة بحيـث يكـون أولى بـه مـن نفسِـه فيتبع هديه ويقتفـي أثـره ويتحلـى بسـنته ويجاهـد هـواه حتـى يكـون تبعـاً لمـا جاء به وحتـى يكـون أحـب إليـه مـن والـده وولـده ونفسـه والنـاس أجمعـين (ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ) (النساء٦٥)

٢- الرضا عن الله تعالى:

ومعناه أن لايكره العبد مـا يجـري بـه قضـاء الله.. وهـذا القسـم مـن الرضـا مـن أجّـل الأخـلاق الإيمانيـة لأنـه آخـذ بزمـام مقامـات الـدين كلـها إذ هـو روحهـا وحياتهـا.. فإنــه روح التوكــل وحقيقتــه وروح الـيقين وروح المحبـة ودليل صحة محبة المُحب وروح الشكر ودليله.

من ثمرات الرضا:

وهي كما ذكرها د. عائض القرني[٦٦]:

[٦٦] من كتابه لا تحزن ص ٣٨٣- ٣٩٠ بإختصار

١- الرضا وتمام العبودية:

الرضا يرتفع بصاحبه أعلى المنازل فيصبح راسخاً في يقينه ثابتاً في اعتقادِه وصادقاً في أقوالِه وأعمالِه وأحوالِه.. فتمام عبوديّتِه في جَرَيان ما يكرهُهُ من الأحكام عليه ولو لم يجْرِ عليه منها إلا ما يحب لكان أبْعَد شيءٍ عنْ عبوديَّة ربِّه.. فلا تتمُّ له عبوديَّة من الصَّبر والتَّوكل والرِّضا والتضرُّع والافتقار والذُّلِّ والخضوعِ وغَيْرِها إلاَّ بجريان القدرِ له بما يكرهُ.. فليس للعبد أنْ يتحكَّم في قضاءِ الله وقدرِه فيرضى بما شاء ويرفض ما شاء فإنَّ البشر ما كان لهم الخِيَرَةُ بلْ الخيرةُ الله فهو أعْلم وأحْكم وأجلُّ وأعلى لأنه عالم الغيب المطَّلِعُ على السرائر العالمُ بالعواقب المحيط بها.

٢- رضا يثمر رضا:

ولْيَعْلم أنَّ رضاه عن ربِّه سبحانهُ وتعالى في جميعِ الحالاتِ يُثمِرُ رضا ربُه عنه فإذا رضي عنه بالقليلِ من الرِّزقِ رضي ربُّه عنه بالقليلِ من العملِ وإذا رضي عنه في جميع الحالاتِ واستوتْ عندهُ وجدهُ أسْرَعَ شيءٍ إلى رضاهُ إذا ترضَّاه وتملَّقه.

٣- الرضا يوجب طمأنينة القلب وسكونه:

إنَّ الارتياح النفسيَّ لا يتمُّ بمُعاكسة الأقدار ومضادَّة القضاء بل بالتسليمِ والإذعان والقبُول لأنَّ مدبِّر الأمرِ حكيمٌ لا يُتَّهمُ في قضائِه وقدرِهِ (ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ) (التغابن١١) وقال علقمة في هذه الآية: هي المصيبة تصيب الرجل

فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى.. وفي المقابل فإن السُّخطُ بابُ الهمِّ والغمِّ والحزن وشتات القلب وكسف البال وسُوء الحال.

٤- الرضا يغلق باب الشك:

والسُّخطُ يفتحُ عليه باب الشَّكِّ في الله وقضائه وقدره وحكمته وعلمه.. فقلَّ أنْ يَسْلَمَ الساخِطُ منْ شكٍّ يُداخلُ قلبه ويتغلغلُ فيه وإنْ كان لا يشعرُ به.. فلوْ فتَّش نفسه غاية التفتيش لوَجَدَ يقينهُ معلولاً مدخولاً.. فإنَّ الرضا واليقين أخوان مُصطحبان والشَّكُّ والسُّخط قرينان.. فالساخطُون ناقِمون من الداخل غاضبون ولو لم يتكلمُّوا عندهم إشكالات وأسئلة مفادُها: لم هذا؟ وكيف يكون هذا؟ ولماذا وقع هذا؟

٥- الرضا يثمر الشكر:

والشكر منْ أعلى مقاماتِ الإيمان بل هو حقيقةُ الإيمان فإنَّ غاية المنازل شكر المولى ولا يشكُرُ اللهُ منْ لا يرضى بمواهبه وأحكامه وصُنعه وتدبيره وأخذه وعطائه الشاكرُ أنْعمُ الناس بالاً وأحسنُهم حالاً.

٦- الرضا يخرج الهوى:

والرضا يُخرجُ الهوى من القلبِ.. فالراضي هواهُ تبعٌ لمرادِ ربِّه منه.. أعني المراد الذي يحبُّه ربُّه ويرضاهُ فلا يجتمعُ الرضا واتِّباعُ الهوى في القلبِ أبداً وإنْ كان معهُ شُعبةٌ منْ هذا وشعبةٌ منْ هذا فهو للغالِب عليه منهما.

الطريق إلى الرضا:

١- معرفة الله عزوجل بأسمائه وصفاته:

إن معرفة الله عزوجل بأسمائه وصفاته من أعظم الوسائل لنيل الرضا.. فالقلب الموصول بالله راض بما قضى الله له وما قدر عليه إيماناً بأن الله تعالى لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقضي أمراً يريد به عسراً لعباده وأنه سبحانه أرحم بهم من الوالدة بولدها... وكيف لا يرضي وهو يؤمن بكمال الله وجماله، ويوقن بعدله ورحمته، ويطمأن إلى علمه وحكمته.. فربه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة لم يخلق شيئاً لهواً، ولم يترك شيئاً سدى(ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)(التين ٨) ولأزيد لك الأمر وضوحا.. أضرب لك هذا المثل.. (طفل على كُرسي طبيب الأسنان وفي سِنِّهِ ألمٌ شديد ولابُدَّ من قلعِ هذا السِن ولابُدَّ قبلَ قلعِ هذا السِنِ من مُخدّر ولابُدَّ لهذا المُخدّر من حِقنة.. حينما يتألمُ الطفلُ يرفضُ أن يبقى جالساً وقد يصيح وقد يتكلّم كلاماً غيرَ لائق لماذا؟ لأنهُ لا يعرِفُ أنَّ الطبيبَ يعملُ لِصالِحهِ ولا يعرِفُ أنَّ هذه الإبرة بعدَ قليل سوفَ تُنسيهِ الألمَ الطويل.. وفي المقابل انظر للراشد عِندَ طبيب الأسنان طبعاً يتألم جداً حينما يتلقى المُخدّر ومع ذلك يسكت ويشكُر الطبيب ويُعطيهِ الأجر لأنهُ موقن أنَّ عملَ الطبيب لِصالِحهِ.. فكُلما ارتقى عِلمُك ارتقى رِضاك)[٦٧]

وهكذا كُلما كانَ عِلمُكَ بالله أكبر كانَ رِضاكَ عنهُ أشد.. وكُلما كان هُناكَ جهلٌ باللهِ عزّ وجل كان مع الجهلِ سُخط.. والإنسان حينما تُكشفُ لهُ الحقائق وحينما يظهرُ لهُ أنَّ كُلَّ أفعالِ اللهِ حكيمةٌ ورحيمةٌ وعادِلةٌ وأنهُ

[٦٧] من محاضرة الرضا.. د. محمد راتب النابلسي

لم يرضَها في حينِهِ وأنـهُ سَـخِطَ علـى اللهِ مِنهـا عندئـذٍ يتـألّمُ أشـدَّ الألم.. لـذلك فالعِلمَ وحدَهُ طريقُ الرِضا وطريقُ السكينة.

٢- اليقين في أن الخيرة فيما اختاره الله:

ليس كل مـا تسـتقبل النفـوس مـن مكـروه شـرا لا خـير فيـه ولـيس كـل مـا تستقبل من محبـوب خـيرا لا شـرّ معـه.. فقـد يركـب المـرء المكـروه فيحملـه إلى مواقـع الخـير ويركـب المحبـوب فيسـوقه إلى مهـاوى الـرّدى.. والأمـور دائمـا بخواتيمها المحجبة وراء الغيب والكائنـة فـى علـم اللّـه المحكومـة بقضـائه وقـدره (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) (البقرة ٢١٦)

(إنـه مـن يـدري فلعـل وراء المكـروه خـيرا ووراء المحبـوب شـرا.. إن العلـيم بالغايـات البعيـدة المطلـع علـى العواقـب المسـتورة هـو الـذي يعلـم وحـده حيـث لا يعلـم النـاس شـيئا مـن الحقيقـة وعنـدما تنسـم تلـك النسـمة الرخيـة على الـنفس البشـرية تهـون المشـقة وتتفـتح منافـذ الرجـاء يسـتروح القلـب في الهـاجرة ويجـنح إلى الطاعـة والأداء في يقـين وفي رضـاء وكـل إنسـان – في تجاربـه الخاصـة – يسـتطيع حـين يتأمـل أن يجـد في حياتـه مكروهـات كـثيرة كان من ورائها الخـير العمـيم ولـذات كـثيرة كـان مـن ورائهـا الشـر العظـيم.. وكم من مطلوب كاد الإنسـان يـذهب نفسـه حسـرات علـى فوتـه ثـم تـبين لـه بعد فترة أنه كان إنقـاذا مـن الله أن فـوت عليـه هـذا المطلـوب في حينـه.. وكـم من محنة تجرعها الإنسان لاهثا يكـاد يتقطـع لفظاعتهـا ثـم ينظـر بعـد فـترة فـإذا

هي تنشيء له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل إن الإنسان لا يعلم والله وحده يعلم.. فماذا على الإنسان لو يستسلم؟!) [٦٨]

٣- اليقين بأن الدنيا دار إبتلاء واختبار:

إن الدنيا دار ابتلاء يتمازج الخير فيها بالشر.. يُبتلى المرء فيها بالنعمة ليشكرها فلا يطغى ولا يبطر بها.. ويبتلى فيها بالمصيبة ليصبر عليها ويحتسبها بأجر من الله فلا يضجر منها.. لذا فهو يقبل علي الدنيا إقبال الطالب الذي أدخل إلي قاعة الإمتحان لأداء الإمتحان الذي هو بصدده.. إذا أقبلت إليه النعمة استقبلها عالماً بواجبه تجاهها بل تجاه من أسداها إليه، فاستعملها ونعم بها على الوجه الذي شرعه الله، دون بغي ولا طغيان.. وإذا واجهته المصيبة أياً كان نوعها استقبلها متجملاً راضياً صابراً محتسباً أجره على ذلك عند الله، ملتجئاً إليه عز وجل أن يعينه على الثبات والصبر..

منارات على الطريق:

الرسول عليه الصلاة والسلام.. الأسوة الحسنة:

لما مات ولد النبي عليه الصلاة والسلام إبراهيم عن ثمانية عشر شهرا وقد رزق به علي الكبر وبعد موت أبنائه الذكور من قبل لم يتزعزع رضاه عليه الصلاة والسلام لقضاء الله وقدره بل أعلن رضاه بذلك وقال (إن

[٦٨] في ظلال القرآن ج١ ص ٢٢٣-٢٢٥ بإختصار

العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) [٦٩]

عروة بن الزبير.. قمة الرضا والتسليم:

روي أن عروة بن الزبير رضي الله عنه خرج إلى الوليد بن عبدالملك حتى إذا كان بوادي القرى فوجد في رجله شيئاً، فظهرت به قرحة الآكلة (التهاب شديد يميت عضو المصاب) ثم ترقى به الوجع، وقدم على الوليد وهو في محْمل فقيل ألا ندعوا لك طبيباً؟ قال: إن شئتم فبعث إليه الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على إن لم ينشروها قتلته فوضع المنشار على ركبته اليسرى فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً عن عضو وصبر حتى فرغوا منها ثم حسوها وهو يهلل ويكبر وكان معه في سفره ذلك ابنه محمد ودخل محمد اصطبل دواب الوليد فرفسته دابة فخر ميتاً فأتى عروة رجل يعزيه فقال: إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها قال: بل أعزيك بمحمد ابنك قال: وماله؟ فأخبره فقال: (اللهم لك الحمد، كان أولادي سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، فلئن كنتَ قد أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنتَ قد ابتليتَ فقد عافيت).

لله دُر عروة... يالروعة الرضا والتسليم.. ياالحلاوة الإطمئنان واليقين.. يا للأدب مع الله.. إن القلم ليعجز عن تصوير هذا الموقف العجيب..

---

[٦٩] متفق عليه.. رواه البخاري ١٠٥ ومسلم ٢٣١٥

رضيت بما قسمَ الله لي وفوّضتُ أمري إلى خالقي كما أحسن الله فيما مضى كذلك يُحسن فيما بَقِي.

دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم رضّني بقضائك وبارك لي فيما قُدر لي حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجّلت.

قلب حصنه التوكل على اللّه

لما تشبث أكثر الناس بالأسباب وتعلقت بها قلوبهم وجوارحهم وغفلوا عن مسببها وخالقها فكل نظرهم إليها وكل اعتمادهم عليها.. (يمرض المريض فيكون لجوؤه إلي الطبيب ويتعلق أمله بالدواء وينسى رب الأرض والسماء ومن بيده الشفاء... وتنزل بالإنسان المحن وتشتد عليه الفتن وتضيق به الأمور فينطرح على كثير من الأعتاب ويلجا للأحبة والأصحاب وتنقطع به الأسباب وينسى اللجوء الى العزيز الوهاب)[٧٠]

أما صاحب القلب الموصول بالله فله شأن آخر.. فتراه قد أخذ بالأسباب ولم يغفل عن مسببها فهو مع الأسباب بجوارحه وبدنه ومع ربه بعقله وقلبه.. وهذا هو حقيقة التوكل..

التوكل على الله شعور بهيمنة الله على الحياة وبأن حركاتها وسكناتها محكومة بحوله وقوته لا يمكن أن تند منه أو تبعد عنه.. واستقرار هذا الشعور في القلب يجعل صلة الإنسان بربه عميق وركونه إليه باديا لأن التوكل دلالة علم الله وصفاته وما ينبغي له.. ولذلك فان المتوكل بهذه اليقظة الفكرية والنفسية أهل لأن يظفر برعاية الله وتوفيقه ومحبته (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ)(الطلاق ٣)



---

[٧٠] الله أهل الثناء والمجد ص ٤٢٥

- ذكر القشيري في رسالته عدة تعريفات للتوكل ذكرها القوم ونقلها ابن القيم في (مدارج السالكين) وعلق عليها من أهمها:
- التوكل: علم القلب بكفاية الرب للعبد.
- التوكل: انطراح القلب بين يدي الرب كـإنطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجارى الأقدار.
- وقال أبو تراب النخشبي: (هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية.. فإن أُعطِيَ شكر وان مُنِعَ صبر).. فجعله مركّباً من خمسة أمور: القيام بحركات العبودية وتعلق القلب بتدبير الرب وسكونه إلى قضائه وقدره وطمأنينته وكفايته له وشكره إذا أُعطِيَ وصبره إذا مُنِعَ.
- قال بعض العارفين: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه.
- وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً. وصدق والله يحيي بن معاذ... ف(المؤمن الحق هو من يتفهم جيداً معنى اسم الله الوكيل ويحفر له في قلبه مكاناً لا يفارقه أبدا لأن فيه سكينته وراحته وهدايته.. فهو الإسم الذي يلقي ظلاله على العقل فيمنحه رشده ويوفقه عند حده، ويمنعه من التمادي في التفكير الجارف في يومه وفي غده ويحول بينه وبين عواصف الهم

والغم والحزن وينحي عنه أشباح الهواجس النفسية والوساوس الشيطانية ويجعله قادراً على تلمس المخارج من الضيق ويتخذ سبيله نحو مأمن يلجأ إليه ويستريح فيه من عناء الفكر المتواصل في أمور دبرها له خالقه ومولاه قبل أن يخلق السماوات والأرض... إن إحساس المؤمن بأن الله عز وجل قد تكفل بتدبير أمره يجعله قادراً على التكيف مع الظروف التي يعيش فيها من غير جزع أو هلع ويدفعه إلى مواجهة الحياة بخيرها وشرها بعزم صادق لا يعرف اليأس وهمه عالية لا يعتريها خلل أو ملل.. فالله هو الوكيل الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه يرجع الخير كله يدبر شؤون خلقه بحكمته ويصرف أمور عباده بمشيئته ليس لأحد معه إرادة ولا خيرة)[٧١] .

وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد... قال ابن القيم: (التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه.. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.. فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلاَّ على قدم العبودية... فيكون حاله مثل

[٧١] أسماء الله الحسنى ص ٢١٧ د. محمد بكر إسماعيل

من أعطاه ملك درهماً فسُرِق منه.. فقال له الملك: عندي أضعافه فلا تهتم.. متى جئت إليّ أعطيتك من خزائني أضعافه.. فإذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن إليه وعلم أن خزائنه مليئة بذلك لم يحزنه فوته).

وخلاصة القول:

فالتوكل قطع القلب عن العلائق ورفض التعلق بالخلائق وإعلان الافتقار إلى محول الأحوال ومقدر الأقدار لا إله إلا هو وصدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه... وسر التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الإعتماد عليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه.. فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء آخر.. فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله تبت إلى الله وهو مصر على معصيته مرتكب لها.

من ثمرات التوكل على الله:

كما ذكرها د. يوسف القرضاوي في كتابه التوكل:

١- سكينة النفس وطمأنينة القلب التي يشعر بها المتوكل على ربه ويحس بها تملأ أقطار نفسه.. فلا يحس إلا الأمن إذا خاف الناس والسكون إذا اضطرب الناس واليقين إذا شك الناس والثبات إذا قلق الناس والأمل إذا يئس الناس والرضا إذا سخط الناس.. إنه أشبه بجندي

أوى إلى حصن حصين فيه فراشه وطعامه وذخائره وسلاحه يرى منه ما يرى ويَرمي ولا يرمى فلا يهمه ما يدور في الخارج من صخب الألسنة أواشتجار الأسنة.

٢- العزة التي يحس بها المتوكل فترفعه مكاناً علياً وتمنحه ملكاً كبيراً بغير عرش ولا تاج وهي قبس من عزة المتوكّل عليه كما قال تعالى: (گ گ گ گ) (الشعراء ٢١٧).. (ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ) (الأنفال ٤٩). فالمتوكل هنا عزيز بغير عشيرة.. غني بغير مال.. ملك بغير جنود ولا أتباع.. أجل هو ملك ولكنه من ملوك الآخرة لا من ملوك الدنيا.. فملوك الدنيا يشعرون بحاجتهم إلى من حولهم من الأتباع والأنصار كما يشعرون بالخوف على ملكهم أن يزول بالكيد من الداخل أو بالغزو من الخارج أو بالموت الذي لا يفرق بين ملك وسوقة أما ملوك الآخرة فقلوبهم معلقة بالله تعالى لا يرجون إلا رحمته ولا يخافون إلا عذابه.

٣- الرضا الذي ينشرح به الصدر و ينفسح له القلب.. فالرضا ثمرة التوكل ومن فسر التوكل به فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.. فهو يعلم أن من توكل علي الله كفاه، ومن لجأ إليه آواه، ومن سأله أعطاه، ومن استعان بالله أعانه وحماه، ومن تعلق بالله لم يدعه إلي سواه.

٤- الأمل في الفوز بالمطلوب والنجاة من المكروه وانقشاع الغمة وانفراج الكربة: إن المتوكل على الله يعلم أن الملك كله بيد خالقه ومدبر أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إن شاء أغنى الفقير وأفقر الغني..

وقوى الضعيف وأضعف القوي.. ونصر المظلوم وأخذ الظالم.. وشفى المريض ويسر على المعسر وأعز الذليل وأذل العزيز.. قد يفعل ذلك بأسباب معتادة معروفة وقد يفعله بأسباب غير مألوفة.. لا حجر على مشيئته، ولا ينازعه أحد في سلطانه.

الطريق إلى التوكل: [٧٢]

١- حُسن معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا: فمن عرف ربه رحماناً رحيماً، عزيزاً حكيماً، سميعاً عليماً، حياً قيوماً، غنياً حميداً خبيراً بصيراً، قهاراً قديراً، رزاقاً ذا قوة متيناً، لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، فعالاً لما يريد، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجد نفسه مدفوعاً إلى الاستناد إليه، والتوكل عليه.

٢- الثقة بالله عز وجل: وهي ثمرة المعرفة.. فإذا عرف الله حق معرفته وثق به ثقة مطلقة تسكن إليها نفسه ويطمئن بها قلبه.. ومن ذلك: الثقة بشمول علمه، وكمال حكمته، وسعة رحمته، وعموم قدرته، وطلاقة مشيئته. وانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل أبر بهم من أنفسهم، وأعلم بمصالحهم من ذواتهم: (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) (الملك ١٤). ومن ذلك: الثقة بما تكفل به من الرزق لخلقه، فقد وعد بذلك: (ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ) (الذاريات ٥٨).. ثم أكد الوعد بالضمان: (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ) (هود٦) ثم أكد الضمان بالقسم: (ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ)

---

[٧٢] انظر كتاب التوكل للدكتور القرضاوي

(الذاريات٢٢- ٢٣).. فالواثق بوعد الله تعالى وضمانه لا يخاف فوت رزقه أبداً.. فإن أحداً لا يستطيع أن يأكل من رزقه كما أن أحداً لا يستطيع أن يقدم من أجله.

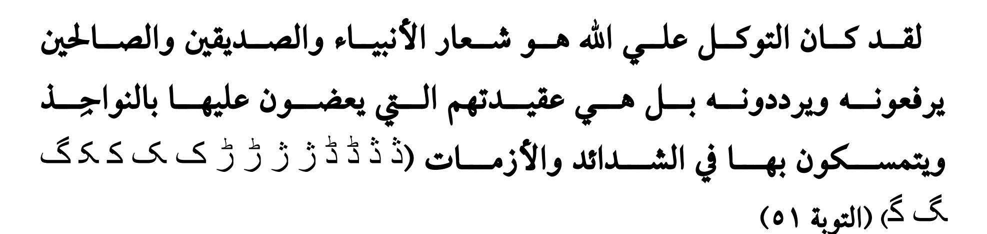
٣- معرفة الإنسان بضعفه الفطري وعجزه الذاتي: فقد خلقه الله ضعيفاً وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً وأعطاه أدوات السمع والبصر والفؤاد ليتعلم ما لم يكن يعلم. كما منحه من الإرادة والقدرة ما يمكنه من أداء رسالته في الأرض.. ولكن يظل علمه علم بشر، وإرادته إرادة بشر، وقدرته قدرة بشر. أي مخلوق محدث مسبوق بالعدم، وملحوق بالموت.. فوجوده وحياته وعلمه وكينونته كلها ليست بذاته ولا من ذاته، بل بربه ومن ربه عز وجل: (ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ) (الإنسان ١- ٢).

ومن هنا يعلم الإنسان حق العلم ويرقن حق اليقين: أن لا حول له ولا قوة إلا بالله الذي خلقه فسواه، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. فما به من نعمة العلم، أو نعمة القدرة، أو نعمة الحياة والوجود، فهي من الله وبالله: (ئې ئى ئى ی ی ی) (النحل ٥٣).

وهذا من أعظم البواعث لتعلق العبد بربه: تعلق العاجز بالقدير، والضعيف بالقوي، والفقير بالغني، والجهول بالعليم، والذليل بالعزيز، والفاني بالباقي.. وبعبارة أخرى: تعلق المربوب بالرب، والمخلوق بالخالق، والميت بالحي الذي لا يموت.. تعلق من لا يملك شيئاً بمن يملك كل شيء.. ومن لا يقدر على شيء بمن هو على كل شيء قدير ومن لا

يعلم متى يموت، ولا أين يموت، ولا كيف يموت، بمن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. إن معرفة الإنسان بنفسه باب إلى معرفة ربه ولهذا قال العارفون: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)

منارات على الطريق:



لقد كان التوكل علي الله هو شعار الأنبياء والصديقين والصالحين يرفعونه ويرددونه بل هي عقيدتهم التي يعضون عليها بالنواجذ ويتمسكون بها في الشدائد والأزمات (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ) (التوبة ٥١)

- إنها الحالة التي وجدها النبي صلى الله عليه وسلم في الغار حين أشفق عليه أبو بكرالصديق فقال له: (ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ) (التوبة٤٠)
- إنها الحالة التي وجدها موسى عليه السلام حين قال له أصحابه: (ﭖ ﭗ) وذلك عندما أراد فرعون أن يبطش بهم فالبحر أمامهم وفرعون وجنوده من خلفهم فقال موسي في ثقة واطمئنان ويقين(ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ) (الشعراء ٦٢).
- إنها الحالة التي وجدها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار فلم يشتغل بسؤال مخلوق من إنس أوملك ولم يشتغل إلا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل.
- إنها الحالة التي وجدتها هاجر حين وضعها إبراهيم مع ابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع في مكة عند مكان البيت المحرم ولا أنيس ولا

جليس ثم ودعها قافلاً.. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: هو إذن لا يضيعنا!

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك.

اللهم إنا أسألك أن تذيقني حلاوة التوكل عليك وبرد اليقين فيك ولذة الثقة بك يا أرحم الراحمين.

قلب عدوه الغفلة

إن آفة الكثير من الناس أنهم يعيشون في غفلة يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام لا يفكرون في مصيرهم ولا يدرون شيئا عن حقيقة أنفسهم وطبيعة دورهم في هذه الحياة.. فهم (تعوَّدوا أنْ يعيشوا حياتهم اليومية الرتيبة الروتينية فيأكلون ويشربون وينامون ويستيقظون، ويشغلون ويستريحون، ويزورون ويتحركون، لايلفت نظرهم مرور الساعات وانقضاء الأيام والشهور والأعوام.. كان أحدُهم طفلاً ساذجاً ثم صار شاباً غافلاً وبعد ذلك أصبح عجوزاً هرماً.. ثم مات وغادر الحياة كما دخلها.. وعندما تنظرُ في السنوات السبعين أو الثمانين التى عاشها لا تجدُ فيها شيئاً يستحقُ الذكر.. أمضي المسكينُ سنوات عمره في جمع الأموال والممتلكات وإِنجاب الأولاد والبنات وتأمين مستقبلهم بالوظائف والشهادات والعمارات وهو في ساعات يومه ونهاره مشغول بوظيفته أو زياراته أو أحاديثه وجلساته أو ساعات لهوه ولعبه وهو في غفلة وسذاجة وبلاهة) [73] حتى يوافيهم الموت بغتة فيواجهون مصيرهم المجهول دون استعداد له ويجنوا ثمرة الغفلة والجهل والإنحراف في عمرهم الطويل أوالقصير وحينئذ يندمون حين لا ينفع الندم ويرجون الخلاص ولات حين مناص.. والغفلة مرض يصيب عقل الإنسان وقلبه بحيث يفقد الحس الواعي بالأحداث واختلاف الليل والنهار.. يفقد الانتباه واليقظة إلى معاني الأشياء وعواقب الأمور فهو يعني بالصور لا بالمعاني والظواهر لا

[73] الخطة البراقة لذي النفس التواقة ص٩٧– ٩٨ بإختصار د. صلاح الخالدي

بالحقائق وبالقشور لا باللباب وبالبدايات لا بالنهايات.. والغفلة هي الوقوع في أسر اللحظة وقيد الشهوة وافتقاد النظرة الشاملة التي تري الإنسان ما سبق وما هو آت وتجعله على بينة وبصيرة وتجعل مشهد الوجود أمامه ممتدا فسيحا ظاهرا لا عوج فيه ولا خفاء.

أخي في الله...

إن البداية الصحيحة لسير القلب إلى الله إنما تكون باليقظة ليتنبه الغافل ويفيق السكران ويستيقظ الراقد فيستشعر الجميع حاجتهم إلى الله وإلى النجاة من حسابه.. (فأول منازل العبودية: اليقظة وهى انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين.. والله ما أنفع هذه الروعة وما أعظم قدرها وخطرها وما أشد إعانتها على السلوك.. فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح وإلا فهو فى سكرات الغفلة.. فإذا انتبه شمر لله بهمته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التى سبى منها واعلم أن العبد قبل وصول الداعى إليه فى نوم الغفلة قلبه نائم وطرفه يقظان... فأول مراتب هذا النائم: اليقظة والانتباه من النوم.... وكأنها هى القومة لله المذكورة فى قوله (ۋ ې ې ۉ ۉ ۇ ۇ ئا ئا) فالقومة لله هى اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة) [74]

 وصاحب القلب الموصول بالله عدوه الغفلة..

[74] مدارج السالكين ج١ ص١٢٢

- فهـو لا يغفـل عـن مصـائد الشـيطان ومكائـده.. فهـو يعلـم أن الشـيطان قـد حشـد جنـوده وأتباعـه مـن الإنـس والجـن... وجهـز أسـلحته ونظـم صـفوفه... وأعـد عدتـه.. وتأهـب للإسـتعداد مـن أجـل مهمـة محـددة وهـدف واضـح.. إغوائـه وإضـلاله.. وأن الإنتصـار فـى هـذه المعركـة يعنى الخلود فـى جنـات النعـيم ونيـل رضـا الـرحمن الـرحيم.. أمـا الهزيمـة فإلى جهنم وبئس المصير.
- لا يغفـل عـن أحـوال قلبـه فهـو يتعهـد قلبـه بالرعايـة ليكتشـف أمـراض قلبه ويعمل علي اتخـاذ أسـباب الوقايـة منهـا والعمـل علـي علاجهـا عنـد ظهور المرض ليساعد علي بقاء قلبه في حالة من الصحة والسلامة.
- لا يغفــل عــن الأوقــات فهــو يــنظم وقتــه بــين الواجبــات والأعمــال المختلفــة الدينيــة والدنيويــة حتــى لا يطغــى بعضــها علــى بعــض.. فيحـرص كـل الحـرص علـى ألا يمـر يـوم أو بعـض يـوم دون أن يتـزود منهـا بعلـم نـافع أوعمـل صـالح أو مجاهـدة للـنفس أوإسـداء نفـع للغـير حتـى لا تتسـرب الأعمـار سـدى وتضـيع هبـاء كمـا يفعـل قتلـة الوقـت يقــول أحــد الصــالحين أوقــات العبــد أربعــة لا خــامس لهــا: النعمــة، والبليـة، والطاعـة، والمعصـية ولله عليـك في كـل وقـت منهـا سـهم مـن العبوديـة يقتضـيه الحـق منـك بحكـم الربوبيـة... فمـن كـان وقتـه الطاعـة فسبيله شهود المنَّـة مـن الله عليـه أن هـداه لهـا ووفقـه للقيـام بهـا... ومـن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهـو فـرح القلـب بـالله.. ومـن كـان وقتـه المعصـية فسـبيله التوبـة والإسـتغفار... ومـن كـان وقتـه البليـة فسـبيله الرضا والصبر.

- لا يغفل عن الآخرة وطريق النجاة فيها لأنه يعلم أنها الميدان الحقيقي للتسابق والتنافس.
- لا يغفل عن حقيقة الحياة الدنيا وأنه قصيرة سريعة الزوال لاتدوم علي حال وأنها دار ممر وليست مستقر.
- لا يغفل عن غاية خلقه وحكمة وجوده فهو يسأل نفسه دائما من أنا؟ ومن أوجدني؟ وما مصيري بعد أن وجدت؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ فهو يعلم أن الله خلقه من أجل عبادته وأن العبادة هي غاية الطاعة والخضوع لله عزوجل وهي تشمل كل ما يحبه الله عزوجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.
- لا يغفل عن آيات الله في الكون والحياة فهي طريقه إلي معرفة الله وتعظيمه واجلاله.

من أضرار الغفلة:

١- الوقوع في براثن الشيطان: فالشيطان يجثم على قلوب الغافلين ويتسلط على جوارحهم ويزين لهم الباطل ويثبطهم عن العمل الصالح ويهون عليهم المعاصي.. فالغفلة هي (سلاح عدو الإنسان اللدود الذي يضع الحجب ويثير دخان الهوى فتتغبش الرؤية لديه وتضيع المعالم من بين يديه وهذا ما يفهم من ذلك التوعد الشيطاني لبني آدم: (ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) (الأعراف ١٦ – ١٧)..
فهذا الإتيان من الجهات الأربع يهدف إلى حجب الحقائق عن الإنسان

فتبدو له الأمور على غير حقيقتها فيظن الفاني باقيا ويغفل عن الباقي المحجوب عنه ويقع في شباك الغرور وفي أسر الشهوات التي يظن بها سعادته فيقع في معصية ربه من أجلها ويكون حصاده منها الندم والخسران المبين إن لم تتداركه رحمة ربه وإن لم يستعد الوعي ويسترد القدرة على إدراك حقائق الأشياء.. وذلك ما كان من قبل من الشيطان مع أبي البشر آدم وأمهم حواء حين كاد لهما وزين لهما المعصية وصور لهما الأمور على غير حقيقتها وجاءهما في صورة الناصح المشفق عليهما من الفناء (ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ) (طه ١٢٠).. هذا الذي كان من قبل مع أبي البشر وأمهم يتكرر مع بني آدم في كل حين.. فيقع الإنسان في أسر اللحظة وقيد الشهوة وغرور الوهم على الرغم من التجربة الأولى ومن التحذير الرباني: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ)(فاطر ٦)) [٧٥]

٢- الغفلة وفساد القلب: الغفلة أشد ما يفسد القلوب.. فالقلب الغافل قلب معطل عن وظيفته معطل عن الإلتقاط والتأثر والاستجابة.. تمر به دلائل الهدى أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها ودون أن ينبض أويستقبل... وهذا ما حذر منه الإمام ابن القيم: (فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكمًا على قلبه وصدأه بحسب غفلته وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحقّ والحقّ في صورة الباطل.. لأنه لَمَّا تراكم عليه الصدأ أظلم

[٧٥] من مقال قواطع اليقين د. مأمون جرار

فلـم تظهـر فيـه صـورة الحقـائق كمـا هـي عليـه.. فـإذا تـراكم عليـه الصـدأ واسـودَّ وركبـه الـران فَسَـدَ تصـوره وإدراكـه فـلا يقبـل حقًّـا ولا يُنكـر بـاطلاً وهذا أعظم عقوبـات القلـوب وأصـل ذلـك مـن الغفلـة واتبـاع الهـوى فإنهمـا يطمسان نور القلب ويعميان بصره).

٣- الغفلة تنحط بالإنسان إلي مرتبة الأنعام: انظـر إلـي وصـف الله عزوجـــــل للغـــــافلين (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ) (الأعراف ١٧٩)

فـالله تعـالي أعطـاهم هـذه الأدوات ولكـنهم خربوهـا وعطلوهـا فلـم تعـد تـؤد مهمتهـا.. القلـوب لا تفقـه والأعـين لا تبصـر والآذان لا تسـمع.. فمـا قيمة الأذن إذا لم تسـتمع إلى الخـير؟ مـا قيمـة العـين إذا لم تعتـبر بمـا تـرى؟ مـا قيمة القلب والعقل إذا لم يفقه ما له وماذا عليه وماذا ينتظره؟

ولكن لماذا وصفهم الله بأنهم (ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ)؟

إن الأنعـام معـذورة فهـي لم تـؤت مـا أوتـي الإنسـان مـن هـذه المواهـب العقلية والروحية فليس لهـا عقـل تفكـر بـه ولا إرادة تـرجح بهـا ولم ينـزل لهـا كتـاب ولم يبعـث لهـا رسـول ومـن ناحيـة أخـرى الأنعـام تـؤدي مهمتهـا في الحيـاة الـتي خلقـت مـن أجلـها(ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ) (النحـل ٥-٧)

هـل رأيـت بقـرة تمـردت علـى أن تُحلـب؟ هـل رأيـت حمـاراً تمـرد علـى أن يُركـب؟ كـل يـؤدي رسـالته في الحيـاة ولكـن الإنسـان المكـرم المسـتخلف في

الأرض الـذي سـخر الله لـه مـا في السـماوات ومـا في الأرض جميعـا منـه وأسبغ عليه نعمـه ظـاهرة وباطنـه.. هـذا الإنسـان لم يـؤد رسـالته لأن رسـالته أن يعرف الله ويعبد الله ويعمر أرض الله ويقوم بالخلافة في أرض الله

(ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) (الذاريات ٥٦)

فيـا للعجـب.. لم تتمـرد الأنعـام علـى رسـالتها وقـد تمـرد الإنسـان علـى رسـالته فلـم يـؤد لربـه حقـا ولم يقـم بخلافتـه في أرضـه كمـا ينبغـي لهـذا كـان أضل من الأنعام سبيلا (ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ)

٤- ضياع الأوقات والأعمار: فالغافـل يضـيع عمـره في اللـهو واللعـب وفي القيل والقال وفي الإشتغال بفضول المباحات

لا يبالي بواجبـات الـدين والـدنيا.. كـم مـن المسـلمين مـن يضـيع السـاعات في غـير الطاعـات بـل في معصـية رب الأرض والسـماوات.. كـم مـن أنـاس يضيعون أعمـارهم في الجلـوس علـى المقـاهي ومجـالس اللغـو واللـهو يفرحـون برؤيـة الـذاهبات والغاديـات.. وإن سـألتهم قـالوا نقتـل الوقـت ومـا يـدري هـؤلاء المسـاكين أن مـن قتـل وقتـه فقـد قتـل في الحقيقـة نفسـه فهـي جريمـة انتحار بطيء ترتكب علـى مـرأى ومسـمع مـن النـاس ولا يعاقـب أحـد عليهـا وكيف يعاقب عليهـا مـن لا يشـعر بهـا ولا يـدري مـدى خطرهـا؟! كـم يـتمني أهل الغفلـة عنـد المـوت الرجـوع إلـي الـدنيا لتـدارك مافـاتهم (ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ)(المؤمنون ٩٩-١٠٠)

 من أسباب الغفلة:

١- الجهل بالله عز وجل وأسمائه وصفاته:

لو عرف الغافلون ربهم حق المعرفة ما غفلوا عن ذكره وما غفلوا عن أوامره ونواهيه لأن المعرفة الحقيقية تورث القلب تعظيم الرب ومحبته وخوفه ورجاءه فيستحي العارف أن يراه ربه على معصية أوأن يراه غافلاً.. فأنس الجاهلين بالمعاصي والشهوات وأنس العارفين بالذكر والطاعات.

٢- الاغترار بالدنيا والإنغماس في شهواتها:

وهذا ما حذر منه يحيى بن معاذ رحمه الله حين قال (الدنيا خمر الشيطان.. من سكر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين)

٣- طول الأمل:

إن طول الأمل مرض عضال وداء مزمن إذا أصاب الإنسن أهلكه لا محالة.. فالإنسان إذا انشغل بمتاع الدنيا وشهواتها ونسي أنها دار ممر وليست مقرا ثقل عليه مفارقته فيطول أمله فيقوده ذلك إلي تفضيل العاجلة علي الآخرة وإلي اساءة العمل ونسيان الآخرة وبقاء الغفلة وانتفاء اليقظة والتسويف في التوبة ويحمله ذلك على الحرص على الدنيا والتشمير لها لعمارتها وطلبها حتى يقطع وقته ليله ونهاره في التفكير في جمعها وإصلاحها والسعي لها مرة بقلبه ومرة بالعمل فيصير قلبه وجسمه مستغرقين في طلبها وحينئذ ينسى نفسه والسعي لها بما يعود إلى صلاحها.. فلا يزال يُمني ويُسوف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة أو إلى رجوعٍ

من السفر أو إلى فراغه من تدبير شؤنه أو شئون أولاده أو بناته أوزواجهم أو انتهاء شغله في عماراته أو بستانه أو تكميل دراسته أو نحو ذلك من الأماني الباطلة التي يتلذذ بذكرها ولا تجدي شيئا لكنه يرتاح لها فلا يزال يُمني نفسه بما يوافق هواها ولا يزال يغالط نفسه في الحقائق ويتوهم البقاء في الدنيا إلى أن يأتي الموت بغتة بدون سابق إنذار فيصرخ ويقول (ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ)(الزمر٥٦)

٤- صحبة الغافلين:

فأهل الغفلة في مجالسهم ليس لهم هم إلا الدرهم والدينار.. والزروع والثمار والإنشغال في قيل وقال وضياع الأعمار.. فكم جلبت مخالطة هولاء من نقمة.. ودفعت من نعمة.. وأنزلت من محنة وعطلت من منحة.. وأوقعت في بلية.

فيا قلبي العليل..

يا أسير الغفلات.. قد مضي العمر وفات.. فإلي متي تتعامي عن أمور واضحات؟.. إلى متي الغرق في بحار الظلمات؟.. اغتنم العمر وبادر بالعودة قبل الممات واطرح غفلتك واستيقظ من رقدتك وبادر مسرعًا قبل الفوات.. خبرني بربك... إلى كم تنام؟.. أما توقظك الليالي والأيام؟.. أما سألت نفسك أين سكان القصور والخيام؟ دار والله عليهم كأس الحمام(الموت).. فالتقطهم الموت كما يلتقط الحبّ الحمام.. اعلم أنه ما لمخلوق فيها دوام.. طويت الصحف وجفت الأقلام.

قلب لا يعرف اليأس

(حين تضعف الإرادة وتلين العزيمة فإن النفس تنهار عند مواجهة أحداث الحياة ومشاكلها التي لا تكاد تنتهي وحين يفشل مثل هذا الإنسان في موقف أومجموعة مواقف فإنه يصاب باليأس الذي يكون بمثابة قيد ثقيل يمنع صاحبه من حرية الحركة فيقبع في مكانه غير قادر على العمل والإجتهاد لتغيير واقعه بسبب سيطرة اليأس على نفسه وتشاؤمه من كل ما هو قادم.. قد ساء ظنه بربه وضعف توكله عليه وانقطع رجاؤه من تحقيق مراده) [٧٦]

هذا هو حال القلوب الشاردة التائهة الغافلة... أما صاحب القلب الموصول بالله فهو في كل أحواله صاحب أمل كبير في روح الله وفرجه ومعيته ونصره لأنه لا يقف عند الأسباب الظاهرة فحسب بل يتعداها موقناً أن لها خالقاً ومسبباً وهو الذي بيده ملكوت كل شيء وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فيمتلئ قلبه توكلاً ورجاءً وأملاً..

- وكيف يتطرق اليأس إلى نفس المؤمن وهو يقرأ قول الله تعالى (ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ) (يوسف ٨٧)
- أم كيف يتمكن منه قنوط وهو يردد كلما قرأ القرآن قوله تعالى (ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) (الحجر٥٦)

[٧٦] من مقال اليأس بضاعة المفلس ماهر السيد

- أم كيف يتمكن منه الإحباط وهو يعلم أن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقدر الله تعالى (ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ) (الحديد ٢٢- ٢٣)... فهو واثق في رحمه الله وفرجه حتي لو كانت كل الشواهد تدل علي أن لا أمل ولو كانت كل الظروف تشعر بالضيق
- ولماذا ييأس وهو يعلم أن اليأس لا يقدم حلولاً ولا يصنع شيئاً سوى مزيد من الآلام والمصاعب والإلتفات المُبالغ فيه إلى الخلف والرجوع المستمر إلى الوراء؟

ألا ما أبشع اليأس.. يعكر الإيمان، ويُغضب الرحمن، ويوهن القوى، ويتلف الأعصاب ويهد العزائم، ويجلب الهزائم، ويورث الحسرة، ويمكن للهوان... إذا أشربه القلب انطفأ نوره ومات سروره وإذا عشش في الذهن أذابت توقده وأطفأت توهجه..

(إذا يئس التلميذ من النجاح.. نفر من الكتاب والقلم وضاق بالمدرسة والبيت ولم يعد ينفعه درس خاص يتلقاه أونصح يسدى إليه أو تهيئة المكان والجو المناسب لاستذكاره أو.. أو.. إلا أن يعود الأمل إليه... وإذا يئس المريض من الشفاء كره الدواء والطبيب والعيادة والصيدلية وضاق بالحياة والأحياء ولم يعد يجديه علاج إلا أن يعود الأمل إليه.. وهكذا إذا تغلب اليأس على إنسان - أي إنسان- اسودت الدنيا في وجهه وأظلمت في عينيه، وأغلقت أمامه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، وضاقت

عليه الأرض بما رحبت.. ذلك هو اليأس.. سم بطيء لروح الإنسان وإعصار مدمر لنشاط الإنسان وتلك حال اليائسين أبد الدهر: لا إنتاج للحياة ولا إحساس بمعنى الحياة) [77]

وما أروع الأمل والتفاؤل وما أحلاه في القلب.. إنه (قوة دافعة تشرح الصدر للعمل وتخلق دواعي الكفاح من أجل الواجب وتبعث النشاط في الروح والبدن، وتدفع الكسول إلى الجد والمجد إلى المداومة على جده والزيادة فيه تدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح وتحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد نجاحه.. إن الذي يدفع الزارع إلى الكدح والعرق أمله في الحصاد.. والذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطر أمله في الربح والذي يبعث الطالب إلى الجد والمثابرة أمله في النجاح.. والذي يحبب إلى المريض الدواء المر أمله في العافية.. والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع ربه أمله في رضوانه وجنته... الأمل إذن هو إكسير الحياة ودافع نشاطها ومخفف ويلاتها وباعث البهجة والسرور فيها) [78]

إن المؤمن (مؤمل في ربه، واثق بنصره، مستبشر بتأييده، متطلع لفرجه، مترقب لكرمه ينظر للحياة بمنظار ناصع، وقلب مطمئن، ونفس راضية، وروح متفائلة. قد تحيط به الفتن، وتحدق المحن، ويشتد الكرب، ويعظم الخطب، ويحل الهم، ويخيم الغم، وهو يخترق ظلماتها جميعا بضياء إيمانه، ونور إسلامه، وقوة يقينه، وجمال صبره، وروعة توكله فلا تزيده المحن إلا

---

[77] الإيمان والحياة ص ١٥٧

[78] المصدر السابق ص ١٥٦

قـوة، ولا تورثـه الفـتن إلا صـلابة، ولا تملـؤه الخطـوب إلا تفـاؤلا وإشـراقًا وتوهجًا وإيمانًا وتوكلاً)[٧٩]

الإنسان بين العجلة واليأس:

من أعظم أسباب اليأس استعجالُ الإنسان للأمور(ﭽ ﭾ ﭿ) (الإسراء١١)

(إن الإنسـان عجـول يتبـع أهـواء نفسـه ولا يتبـع منطـق عقلـه فهـو يحـب الدنيا العاجلـة ولـو انتهـي بـه حبـه لهـا أو حصـوله علـي مـا يحـب منهـا إلـي شقائه وعذابه الأبدي والـدليل علـي هـذا مـن واقـع حالـه في سـلوكه الحيـاتي تجـاه مطالبـه القريبـة الزمنيـة مـن الحيـاة الـدنيا كالمـال والولـد والمنصـب والـدار.. أنـه يـدعو ربـه بإلحـاح لتحقيـق مطلوبـه الـذي تعلقـت بـه نفسـه متصـورا أنـه سـينال بـه السـعادة دون أن يضـع في حسـبانه وتقديراتـه أنـه قـد يكون شرا له وجالبا له تعاسة وشقاء وعذابا وخيبة)[٨٠]

الطريق إلى علاج اليأس:

١- الإيمان الكامل:

الإيمان.. معناه الإعتقاد بقـوة عليـا تـدبر هـذا الكـون لا يخفـى عليهـا شـيء، ولا تعجز عن شيء.. الإعتقـاد بقـوة غـير محصـورة ورحمـة غـير متناهيـة وكـرم غـير محـدود.. الإعتقـاد بإلـه قـدير رحـيم يجيـب المضـطر إذا دعـاه ويكشـف

[٧٩] من مقال التفاؤل د. ناصر الزهراني

[٨٠] معارج التفكر ودقائق التدبر ج٩ ص٥٦٨ الشيخ عبد الرحمن الميداني

السوء.. يمنح الجزيل ويغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.. إله هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وأبر بخلقه من أنفسهم.

٢- وجوب حسن الظن بالله تعالى:

وحسن الظن بالله تعالى أن يظن العبد أن الله تعالى راحمه وفارج همه وكاشف غمه.. ألم يقل سبحانه وتعالي (ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)(الطلاق ٧)

(ماأحسن هذه الآية.. سلوة للمعذبين وعزاء للمصابين وبشري لأهل البلاء وهي تحفة ثمينة لمن أقعده المرض، وأضناه البلاء، أنه موعود بشفاء عاجل، وعافية قادمة فبعد الجوع شبع، وإثر التعب راحة، وعقب السقم شفاء، وخاتمة الشدة رخاء، ونهاية الفقر غني.. إن العسر بعده يسران وليس يسر واحد، لتعلم أن مرارة المعاناة لها نهاية، وشظف العيش إلى انقطاع، وكبد الحياة إلى راحة.. فبشر آمالك بمستقبل زاه وغد مشرق وفجر باه جديد.. لأنه سبحانه ما ابتلاك ليهلكك بل أراد أن يذكرك بسوط من ألم وأن يوقظك من غفلتك لوخزة من ندم وينبهك من رقدتك بجرعة من سقم لتتذكر بالمصيبة النعمة والبلاء العافية وبالمرض الصحة.. فإنك لا تدري بالأصلح ولا تعلم بالأحسن بل هو الأعلم الأحكم الأحلم الأرحم جل في علاه.. فارض باخيتاره فاختياره لك خير من اختيارك لنفسك وعلمه بمصالحك أجّل وأعظم من علمك.. لأنك عبد جاهل فقير ضعيف وهو عليم غني قوي ملك رحمن رحيم)[٨١].

---

[٨١] علي بوابة الوحي بإختصار

٣- وجوب التسليم لله بما يجري في هذا الكون سواء جرى وفق ما نحب أو وفق ما نكره:

إنه الإستسلام المطلق ليد الله تقود خطى الناس وتصّرف حركاتهم وهم مطمئنون لليد التي تقودهم شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين سائرون معها في بساطة ويسر ولين وهم مع هذا يعملون ما يقدرون عليه ويبذلون ما يملكون كله ولا يضيعون وقتاً ولا جهداً ولا يتركون حيلة ولا وسيلة.

٤- تعميق الإيمان بالقضاء والقدر بمفهومه الصحيح: وتربية النفس على التوكل على الله: ونعني بذلك أن يعتمد القلب في تحقيق النتائج على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة وبذل الجهد الممكن للوصول إلى الأهداف المنشودة.

٥- اليقين بالقدرة على التغيير إلى الأفضل: في كل جوانب الحياة ومطالعة تجارب الناجحين في شتى الميادين.

٦- قراءة قصص الأنبياء والصالحين الذين غير الله بهم وجه الحياة: والتعرف على الصعاب والمشاق التي واجهوها بعزم صادق وقلب ثابت حتى أدركوا مُناهم بحول الله وقوته.

٧- اليقين بأن الاستسلام لحالة اليأس لن يجني صاحبها من ورائها إلا مزيدا من الفشل والتعب والمرض: وأن البديل هو السعي والجد وتلمُّحُ الأمل.

فيا أيتها القلوب اليائسة البائسة...

(ما قيمة أن نلطم خدودنا ونشق جيوبنا على فرصة قد فاتت أو صفقة قد خسرت؟! ما قيمة أن نتأوه بـ (لو وليت ولولا) فنجتر أحداثاً قد مرّت وانقضت، وأكل عليها الزمن وشرب ثم نزداد حرقةً عليها ولوعة؟!

(لو وليت ولولا): ألفاظُ الآيسين الذين خالفوا سنّة الحياة وعاندوا قوانين الكون يقول الواحد منهم ويده على خدّه: (لو فعلت كذا لتغّير الموقف.. ليتني انتظرت قليلاً.. لولا ذلك الرجل..) إنها أماني قد غربت شمسها، وعسعس ليلها، وإن محاولة استرجاعها هي محاولة إعادة الصبي البالغ إلي حضن أمه يلقم ثديها، ومحاولة اعادة الماء الذى أهريق إلي القارورة التى كان فيها.. إنها عين الحماقة.. يُستدعي الحزن من رقدته ليلذع القلوب فيوجعها، ويطرق زجاج العيون فيدمعها.

الخيرُ كلُّ الخير في استئناف المسير بجدّ وهمة.. نعلّق عيوننا بالقادم ونصرف أذهاننا عن الفائت.. نحذر تلك الأحرف التى تفتح عمل الشيطان الذى يثير غبار الأمس ليعمي به بصائرنا فنضل الطريق...

لا تحرق أعصابك وتضيع وقتك وأنت تندب حظّك وتبعث آهاتك على أطلال ماض قد اندرس بل استأنِفْ رحلتك مهما واجهتَ من عناءٍ وصعوبة وانطلقْ بنفسٍ مفعمةٍ بالأمل والتفائل دون أن تلتفت إلي الوراء وتقول: (لو.. وليت.. ولولا)) [٨٢]

[٨٢] عيون الأمل حتي تكون أسعد الناس ص٢٧ طه ياسين

قلب يُتقن الخشوع

(هنا في محراب الخشوع تتجلى معاني الراحة وفي ظله يلبس الخاشع أثواب الطمأنينة وسعادة البال وقرار النفس.. هنا يحط الراجون الصادقون في رجائهم المدركون لسمو الهدف.. العارفون لدرجة رحالهم بكل ثقة ليتفيؤوا نسائم اليقين وحلاوة الإيمان وتمام السعادة القلبية والراحة النفسية الحقيقة.. فما أجملها من لحظات والله وأنت تسبح في بحر الخشوع والخضوع بينما يغرق غيرك في أودية الملذات والشهوات باحثا عن هدف أخطأ دربه وزاغ عن طريقه وقد أمكنت قدميك في طريقه الصواب.. فالقلب الخاشع متعلق بمن بيده تصرف القلوب يملك طمأنينتها وحزنها وراحتها ونصبها وسعادتها وشقاءها موصول مباشرة وبدون واسطة بمن بيده مفاتيح السعادة وأسباب النعيم) [٨٣]

 حقيقة الخشوع في عيون الصالحين:

- الخشوع: خضوع القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى وانكساره بين يديه ذلا وافتقارا وإيمانا به وبلقائه.
- وعرفه الجنيد بأنه: تذلُّل القلوب لعلاّم الغيوب.

[٨٣] من مقال بعض الثمرات النفسية للخشوع في الصلاة.. محمد بن سعيد المسقري

- وقـال عنـه الإمـام ابـن رجـب: (أصـل الخشـوع لـين القلـب ورقتـه وسـكونه وخضـوعه وانكسـاره وحرقتـه.. فـإذا خشـع القلـب تبعـه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له).
- وقيل: الخشوع يقظـة دائمـة لخلَجَـات القلـب وخفقاتـه ولفتاتـه حتـى لا يتبلد وحـذرٌ مـن هواجسـه ووساوسـه واحتيـاط مـن سـهواته وغفَلاتـه ودفعاته خشية أن يزيغ وتعتريه القساوة.

وخلاصة القول:

الخشـوع معنـى ينـتظم خضـوع القلـب وذلـه وانكسـاره وعبوديتـه وسـكونه وتواضعه وطمأنينته مـع التعظـيم والمحبـة والخشـية لله تعـالى ويظهـر أثـره علـى الجـوارح بسـكونها والتواضـع للخلـق فيكـون القلـب عـامرًا بالسـكون والطمأنينـة والتـذلل والمحبـة والتعظـيم مـع خضـوع الجـوارح وتواضـع العبـد وسكون الجسم وسكون الطرف والنظر.

- ألا مـا أروع الخشـوع... يـورث انكسـاراً بـين يـدي الـرب وحُرقـةً مـن المعاصـي والسـيئات.. ويجعـل العبـد ينكسـر ويخضـع لله ويـزول مـا فيـه من التعاظم والترفع والتعالي والتكبر.
- ألا مـا أروع الخشـوع... عنـدما تعـبر عنـه القلـوب الواجفـة بالسـجود لله عزوجـل وتمريـغ الجبـاه بـالتراب والتسـبيح بحمـد الله وتعظيمـه (ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ) (السجدة ١٥)

بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق:

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

(خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح.. وأما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع.. فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله.. أما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعا ومراءاة.. ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي وأ سد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة)



من ثمرات الخشوع:

١- الخشوع يطرد الشيطان: لأن الشيطان لا يجتمع مع الخشوع إطلاقاً.. فالخواطر والوساوس تشغل القلب والخشوع حضور القلب

بكليته وصاحب القلب الخاشع لا يجد الشيطان طريقاً في وساوسه وخواطره إلى قلبه.

٢- الخشوع يورث صاحبه أخلاقا محمودة: وذلك أن الخشوع أصل من أصول الأخلاق وأساس من أسسها كما قال ابن القيم رحمه الله: (الأخلاق الفاضلة كالصبر والشجاعة، والعدل والمروءة، والعفة والصيانة، والجود والحلم، والعفو والصفح، والإحتمال والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع والقناعة، والصدق والأخلاق، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الإنشغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك، فكلها ناشئة من الخشوع وعلو الهمة.. فمن علت همته، وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل ومن دنت همته، وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل)[٨٤]

٣- الخشوع يرد العبد إلى حكم العبودية: المخلوق كماله في الخشوع والتواضع والإخبات.. فالعبد لو تُرك مع نفسه فإن فيه صفات مذمومة قبيحة تدعو إليها النفس من التعالي على الخلق فيخرج عن طوره أصله الذي خُلق له ويثب على حق ربه من الكبرياء والعظمة فينازع ربه ذلك.. وقد أمر العبد بالسجود- كما قال ابن القيم رحمه الله- خضوعاً لعظمة ربه وفاطره وخشوعاً له وتذللاً بين يديه وانكسارًا له فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلل رداً له إلى حكم العبودية فيتدارك بذلك ما

[٨٤] الفوائد ص١٥٦ ابن القيم

حصل له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله فتمثل له حقيقة التراب الذي خلق منه وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو الوجه وقد صار أعلاه أسفله خضوعاً بين يدي ربه الأعلى وخشوعاً له وتذللاً لعظمته واستكانة لعزته مردداً: سبحان ربي الأعلى.. سبحان ربي الأعلى.

٤- الخشوع يربى في القلب تعظيم الله وتقديسه وحسن معرفته.

D- الخشوع يغرس في القلب معاني الخوف من الله وعقابة والرجاء فيه وثوابه ومعاني التوكل واليقين والإخلاص وسائر معاني الروحية الطيبة.

٦- الخشوع ينأى بالمؤمن عن الرياء، وحب الظهور والسعي خلف الشهرة والأضواء إذ يشعر القلب بالإستغناء بالله ويرفعة عن النزول لهذا الحضيض.

الطريق إلى الخشوع:

ا- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله: وتكون المعرفة بمراتبها الثلاث: احصاء ألفاظها وعددها وفهم معانيها ومدلولها ودعاء الله تعالى بها دعاء المسألة والثناء والعبادة

فإن العبد كلما كان بالله أعرف كلما كان له أخوف وكلما كان أكثر تعظيماً لله جل جلاله ولهذا قال الله تعالى(ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ) (فاطر٢٨)

فإن هذه الخشية للّه التي تقع فى القلوب وتستولى على المشاعر لا تجىء إلا عن علم بما للّه من جلال وقدرة وعلم وحكمة.. وهذا العلم لا يحصّل إلا بالبحث الجادّ والنظر المتأمل والعقل الدارس المفكر فى خلق السموات والأرض وما فى السموات والأرض.. فمعرفة اللّه أولا ثم الخشية له ثانيا... فإذا عرف العبد صفات الكمال التي اتصف الله بها واستشعرها فإنه ينكسر ويخضع ويتواضع ويخشع قلبه أمام الله جل جلاله.

٢- استحضار نظر الله تعالى ومراقبته إليك في حركاتك وسكناتك.. في صلاتك وفي قراءتك وفي قيامك وقعودك.. فالخشوع لا يختص بالصلاة وإنما هو عبادة قلبية يظهر أثرها على الجوارح في كل أحوال العبد وكلما كان العبد أكثر استحضاراً لهذا المعنى كلما زاد الخشوع في قلبه.. وإنما يفارق الخشوع قلبك إذا حصلت الغفلة عن استشعار نظر الله عز وجل ومراقبته.

٣- تدبر القرآن الكريم: التدبر طريق للفهم والإتعاظ والإعتبار والخشوع (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ) (الحشر٢١)

إن هذا الكتاب المبارك له تأثير عميق جدّاً حتّى على الجمادات حيث أنّه لو نزل على الجبال لهزّها وحرّكها وجعلها في وضع من الإضطراب المقترن بالخشوع.. إلاّ أنّه مع الأسف هذا الإنسان القاسي القلب يسمع

آيات الله تتلى عليه ولا تتحرّك روحه ولا يخشع قلبه... فمن قرأ القرآن أواستمع إليه ولم يخشع قلبه له ولم ينضح بقطرات من الخير والإحسان ولم تبرق فى سمائه بروق الهدى والإيمان فليعلم إن كان منه أن يعلم أنه دون بعض الأحجار قبولا للخير وتأثرا به.

٤- تلقي أوامر الله تعالى بالقبول والإمتثال وعدم معارضتها بشهوة أو رأي.

D- الحرص على الإخلاص وإخفاء الأعمال عن الخلق قدر المستطاع: ومطالعة عيوب النفس ونقائص الأعمال ومفسداتها من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق والتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

6- مشاهدة فضل الله وإحسانه والحياء منه: لإطلاعه على تفاصيل ما في القلوب وتذكر الموقف والمقام بين يديه والخوف منه وإظهار الضعف والإفتقار إليه والتعلق به دون غيره.

فيا قلبي المسكين..

متي تذوق حلاوة الخشوع؟.. متي تنثر الدموع؟ كم أحدّثك وفي سماعك أطمع؟.. كم أحدثك ويا ليتك تسمع؟.. هل من أمل في الرجوع؟ (ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۊ ۋ ۋ ۋ و و ۋ ۋ ې ې ې ى ى ئا ئا ئہ) (الحديد١٦)

قلب يرتع في رياض الذكر

(إن الإنسـان إذ يـذكر حـدثاً مـن الأحـداث أو يستحضـر صـورة شـخص من الأشخاص له بـه علقـة حـب أو بعـض.. فإنـه يجـد فـى كيانـه لهـذا الـذكر ولـذاك الاستحضـار مـا يهـزّ كيانـه ويـثير عواطفـه ويهـيج أشـجانه أو يبعـث مخاوفه..

إن الذاكر للّه على تلـك الصـفة يجـد نفسـه فـى حضـرة مالـك الملـك القـائم علـى هـذا الوجـود والمصـرّف لكـل موجـود.. وإذا هـو فـى هـذا المقـام ذاهـل عن كل ما عدا اللّه مستخفّ بكل ما سـواه.. مـوقن بـأن مـا هـو فيـه مـن خـير أو شـر هـو ممـا قضـى اللّـه بـه وأنـه لا يكشـف الضـرّ إلا هـو سـبحانه ولا يسـوق الخـير إلا هـو جـل شـأنه.. فـإذا ذكـر الإنسـان ربّـه هـذا الـذكر الـذي يدنيه من ربـه والـذي يشـهد منـه مـا يشـهد مـن جـلال اللّـه وعظمتـه وقدرتـه ارتفع عن هذا العالم الترابىّ واستصـغر كـل شـى ء فيـه فـلا يأسـى علـى فائـت ولا يطير فرحا ولا يأشـر بطـرا بمـا يقـع ليديـه مـن حطـام هـذه الـدنيا.. وهـذا هو الإطمئنان الذي يسكن بـه القلـب وتقـرّ العـين.. حيـث لا حـزن ولا جـزع ولا خوف.. ذلـك أن الـداء الـذي يغتـال أمـن النـاس ويقـضّ مضـاجعهم هـو ما يدخل علـيهم مـن همـوم الـدنيا ومـا يشـغلهم مـن توقعـات الأمـور فيهـا.. وإنه لا دواء لهـذا الـداء إلا باللّجـأ إلى اللّـه والفـزع إليـه وذلـك بـذكره وتـذكّر سلطانه المبسوط على هذا الوجود وأمره القائم على كل موجود) [85]

---

[85] التفسير القرآني للقرآن

ألا ما أجمل ذكر الله تعالي... إنه قوت القلوب.. وغذاء الأرواح.. وقوة الأبدان.. وحبيب الرحمن.. إنه درع المؤمن وسلاح المسلم وقوة الموحد ورفعة العابد وطيب النفوس وجلاء الهموم وذهاب الغموم... به تُكشف الكربات وتُعظم القربات وتعلو الدرجات وتدفع الآفات وتجلب البركات وتجلى الظلمات.. ملجئ في النوازل ومفزع في المخاطر وملاذ في الشدائد.. وهو(منشور الولاية الذي من أُعطيه اتصل ومن مُنعه عُزل وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق وماؤهم الذي يطفئون به نار الحريق ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاّم الغيوب وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون)[٨٦]

إنه عبودية للقلب وللسان لا حد لها ولا وقت ولا عذر لمن تركها فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا وراقدًا..

وهكذا يتقلب صاحب القلب الموصول بالله بذكره لله في روضة من رياض الجنة يشم رائحتها الزاكية ويقطف من ثمارها اليانعة ويركن إلى ظلها الوارف وينعم بمعيّة الله فيسكب عليها سكينة وطمأنينة (تى تي ثج ثم ثى) (الرعد ٢٨) س (تطمئن القلوب من خوفها فتسكن إلى موعود ربها مع الثقة به وحسن التوكل عليه وصدق اللجوء إليه.. وتطمئن من حزنها فتجد الأمن من كل غم وهم وحزن فتعيش راضية مرضية لأنها

[٨٦] مدارج السالكين ج٢ ص٣٩٦ الإمام ابن القيم

بربهـا ومولاهـا راضـية.. وتطمـئن مـن الشـتات فيجتمـع شملـها ويتحـد توجهها ويلـم شـعثها وتنجـو مـن شـتات أمرهـا.. فلـيس للقلـب دواء أنفـع من ذكر الله فمهمـا حصّـل القلـب علـي مطلوبـه ورغباتـه بـدون ذكـر الله فـإن مصيره القلق والتمزق والخوف والهم والحزن والكدر والاضطراب) [87]

ولا عجـب أن يرتـاح الـذاكرون ولكـن العجـب العجـاب كيـف يعـيش الغافلون الساهون عن ذكره (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک) (النحل ٢١)

قـال رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام: (ألا أنبـئكم بخيـر أعمـالكم وأزكاهـا عنـد مليككم وأرفعهـا فـي درجـاتكم وخيـر لكـم مـن إنفـاق الـذهب والـوَرِق وخيـر لكـم مـن أن تلقـوا عـدوكم فتضـربوا أعنـاقهم ويضربوا أعناقكم؟.. ذكر الله) [88]

وحقيقـة ذكـر الله هـي تركيـز اتجـاه القلـب إلى الله سـبحانه وتعـالى في كـل وقـت مـن الأوقـات بالـذكر والـدعاء وعنـد الأوامـر والنـواهي وسـائر الأحـوال.. فالمسـلم يبـدأ ذكـر الله بلسـانه نطقـاً ومقـالاً.. ثـم بقلبـه يقينـاً واعتقاداً.. ثـم بعملـه طاعـة وامتثـالاً لأوامـر الله سـبحانه.. وذكـر الله سـبحانه هو ثمرة المعرفـة بـالله والإيمـان بـه سـبحانه وقـد أمرنـا الله بـذكره دائمـاً حتـى نستحضـر عظمتـه وجلالـه وجمالـه وكمالـه لنطيعـه ولا نعصـيه ونشـكره ولا نكفره.

[87] علي بوابة الوحي

[88] أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٦٢٦٩

والذكر ثلاثة أقسام:

إما أن يكون باللسان.. أو بالقلب.. أو بالجوارح.

- **فذكر الله باللسان: أن يحمد العبد ربه ويسبحه ويكبره ويثني عليه ويقرأ كتابه.**

- **وذكر الله بالقلب ثلاثة أنواع:**

١- أن يتفكر العبد في الدلائل الدالة على أسماء الله وصفاته وأفعاله.

٢- أن يتفكر في الدلائل الدالة على كيفية تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده فيفعل ما يقربه إلى الله ويجتنب ما يبعده عنه.

٣- أن يتفكر في أسرار مخلوقات الله وما له سبحانه فيها من الحِكم.

- **أما ذكر الله بالجوارح:**

فيكون بأن يستعمل العبد جوارحه كلها في طاعة الله لتكون جوارحه مستغرقة في الأعمال التي أمره الله بها وخالية من الأعمال التي نهى الله عنها.. فلا يتحرك حركة ولا يعمل عملاً في ليل أو نهار إلا وهو يستحضر ربه ويذكره.

وأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة ويزع عن التقصير في

الطاعـات والتهـاون في المعاصـي والسـيئات.. وذكـر اللسـان وحـده لا يوجـب شيئا منها فثمرته ضعيفة.

وعلـي ذلـك فالـذكر لـيس سـاعة مناجـاة محـدودة في الصـباح أوالمسـاء في المسـجد أو في المحـراب لينطلـق العبـد بعـدها في أرجـاء الأرض يعبـث كمـا يشاء ويفعل ما يريـد... فالـذكر لـيس مجـرد كلمـات يرددهـا اللسـان وإنمـا هـو نبضات قلب معمور بالإيمـان باللّـه وخفقـات وجـدان ريّـان بالرجـاء فـى اللّـه والطمـع فـى فضـله وإحسـانه وذلـك بعـد أن يعـرف المـرء ربّـه ويعـرف مـا ينبغـى لـه سـبحانه مـن كمـالات.. فـذكر اللّـه بالقلـب واللسـان هـو خـير زاد يتزود بـه الإنسـان فـى رحلـة الحيـاة وخـير رفيـق يؤنسـه فـى طريقـه المـوحش حيث يجد فى جـوار اللّـه الأنـس حـين يسـتوحش النـاس ويجـد الشـبع والـرىّ إذا أجدب الناس.

ومن أجل بيان الصورة أكثـر في ذهنـك.. ضـرب الشـيخ محمـد الغزالـي لـك هذه الأمثلة ليزيد الأمر وضوحا فقال:

(النـاس قـد يقلقـون للمسـتقبل أو قـد يشـعرون بـالعجز أمـام ضـوائق أحاطت بهم ونوائـب نزلـت بسـاحتهم وهـم أضـعف مـن أن يـدفعوها.. إنهـم إذا كانوا مؤمنين تـذكروا أن الله علـى كـل شـيء قـدير وأنـه بكـل شـيء بصـير وأنـه غالـب علـى أمـره وأن شـيئاً لـن يُفلـت مـن يـده.. ولـذلك يشـعرون بالطمأنينـة.. وهـذا معنـى قـول الله عـز وجـل (بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى) (الرعد٢٨)

فذكر الله هنا يُشعر الإنسان بالسكينة النفسية.. لأنه يعلم أنه في جوار لا يُضام وأنه إذا أوى إلى الله فإنما يأوي إلى ركن شديد ولذلك يشعر بالطمأنينة وهذا نوع من الذكر..

وعندما ينطلق ناسٌ صوب الدنيا يعبدونها يتشهون ملذاتها ويربطون حاضرهم ومستقبلهم بها.. فذكر الله هنا: أن يستعفف الإنسان وأن يشعر بأن مع اليوم غداً وأن مع الدنيا آخرة وأن الإنسان يجب أن يُقسِّم مشاعره بين حاضره ومستقبله فيعمل لمعاشه كما يعمل لمعاده.

وذكر الله يُخامر قلب المؤمن عندما يزله الشيطان إلى ذنب يرتكبه في جنب الله.. إنه لا يبقى في وهدته التي انزلق إليها، إنه لا يبقى في سقطته التي جرّه الشيطان عندها إنه يذكر أن له رباً يغفر الذنب ويقبل التوب.. ولذلك فهو ينهض من كبوته ويطهر نفسه ويعود إلى ربه ويستأنف الطريق إليه كما قال الله: (ڤ ڦ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڍ ڍ)(آل عمران١٣٥).

يجيء ذكر الله مثلاً في موقف المرء من المال.. إن المال صنو الروح والإنسان يعشقه ويحب جمعه وإدخاره.. ولكن الله يطلب إلى الإنسان أن ينفقه وأن يرعى فيه غيره كما يرعى فيه نفسه.. عندئذ يحاول الشيطان أن يغّل يديه عن النفقة وأن يملأ فؤاده خشية المستقبل وأن يغريه بالكزازة والشح.. ولكن ذكر الله يفك قيود البخل ويغري المرء بالنفقة

ومن نماذج ذكر الله أن تكون وحدك قديراً على ارتكاب أية رذيلة ولكنك تشعر برقابة الله عليك ويتحرك قلبك في جنبك ليعصمك من الزلل.. هذا ذكر الله..

إن الذكر معنى كبير.. فكما يحتاج الجسم الإنساني إلى وجبات يتغذى بها صباحاً وظهراً ومساء حتى يحتفظ بالحرارة ويتمكن من العمل والإنتاج.. فكذلك قلب الإنسان وهو مستودع إيمانه يحتاج إلى وجبات روحية من ذكر منتظم يعرف بها المرء ربه ويؤدي حقه ويزوِّد بها القلب الإنساني بالطاقة الروحية التي تجعله يتحرك على هدى ولا يعمى في ضوضاء الحياة ولُججها الطويلة العريضة) [89]

فيا قلبي العليل..

أما سمعت نداء ربك الجليل (ۀ ئا ئا ئە ئە ئو) (البقرة ١٥٢)

الله أكبر... (يا للتفضل.. الجليل الودود! الله جل جلاله يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مكافئاً لذكرهم له في عالمهم الصغير.. إن العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه في هذه الأرض الصغيرة. .وهم أصغر من أرضهم الصغيرة والله حين يذكرهم.. يذكرهم في هذا الكون الكبير وهو الله العلي الكبير.. أي تفضل! وأي كرم! وأي فيض في السماحة والجود.. إنه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله الذي لا خازن لخزائنه ولا حاسب لعطاياه.. الفضل الفائض من ذاته تعالى بلا سبب ولا موجب إلا أنه

[89] من مقال هذا هو الذكر

هكذا هو سبحانه فياض العطاء.. إنه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ ولا يعبر عن شكره الحق إلا سجود القلب) [٩٠]

وفي الصحيح عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِىّ عليه الصلاة والسلام: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى.. فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى.. وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ.. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) (صحيح البخارى٧٤٠٥)

فيا قلبي الجهول..

من أنت حتي يذكرك المولي تبارك وتعالي؟!.. أنت أيها العبد الفقير.. يذكرك الرب القوي أنت أيها العبد الذليل.. يذكرك مولاك العزيز.. تذكره في عالمك الصغير.. فيذكرك في عالمه الكبير وهو العلي الكبير.. تالله لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب إسمك عند ذكرك لمولاك.. لمت شوقا إلى مولاك.

من ثمرات الذكر: [٩١]

١- الذكر يرضي الرحمن عز وجل و يطرد الشيطان ويقمعه.

٢- يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب الفرح والسرور.

---

[٩٠] في ظلال القرآن ج١ ص ١٣٩-١٤٠

[٩١] من كتاب الوابل الصيب من الكلم الطيب بن القيم بإختصار

٣- يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين.

٤- يورث المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان فيعبد الله كانه يراه.

٥- يورث الانابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل.. فمتى أكثر الرجوع اليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله.. فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه ومهربه عند النوازل والبلايا.

٦- يورث القرب من الله تعالي.. فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.

٧- يورث الهيبة لربه عز وجل واجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

٨- يورث حياة القلب كما قال الإمام ابن تيمية: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك اذا فارق الماء؟!

٩- يحط الخطايا ويذهبها فانه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

١٠- يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.. فان الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشه لا تزول الا بالذكر.

١١- سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل فان العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى.. والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود

لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش.

١٢- يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فان كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة يوم القيامة.

١٣- إنه أيسر العبادات وهو من أجّلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ولو تحرك عضو من الانسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

١٤- في القلب خلة وفاقة لا يسدها شئ البته إلا ذكر الله عز وجل.. فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخله ويفني الفاقة فيكون صاحبه غنيا بلا مال عزيزًا بلا عشيرة مهيبًا بلا سلطان فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته ذليل مع سلطانه حقير مع كثرة عشيرته.

منارات على الطريق:

الإقتداء بنهج الرسول عليه الصلاة والسلام:

(كان النبي أكمل الخلق ذكرا لله عز وجل بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه لله وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكرا منه له.. وثناؤه عليه بالآئه وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكرا منه له وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته

ورهبته ذكرا منه.. وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه فكان ذاكرا لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله.. وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته) [٩٢]

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام.. يذكر الله إذا تناول الطعام ويذكره إذا قام عنه فإذا شرب أو انتهى من الشراب كان على ذكر.. وإذا خلع ثوباً أو لبسه وإذا خرج من بيته أو دخله فله في الذكر صيغ مأثورة.. وإذا أوى إلى فراشه أو نهض منه كان أول ما يسبق إلي لسانه ذكر الله بل إنه إذا تقلَّب من الليل لا يخطر بباله إلا إسمه سبحانه.. وإذا لبس جديداً أو دخل سوقاً فالله حاضر في كل ذلك.. وإذا فزع من النوم أو أرق وإذا أراد جلب رزق أو حفظ نعمة أعجبته أو دفع همّ وضيق أو قضاء دين.. وإذا زار المقابر وإذا أمسكت السماء وأراد الاستسقاء وإذا هاجت الرياح أوأرعدت السماء وإذا نزل الغيث أو فاض المطر أو رأى هلالاً جديداً.. لم يكن من شأنه في هذا كله إلا تنبه قلبه لله سبحانه فيجري لسانه بما يشاء من صيغ الذكر.

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

[٩٢] زاد المعاد لإبن القيم ج٢ ص٢٦

قلب يرسو على شواطيء البكائين

(يتسارع وقع خُطى الأيام وتتسابق لحظات المرء نحو ساعات يشبه بعضها بعضا وتشتد غفلة الإنسان مع متطلبات شئونه الحياتية فلا يفيق إلا بعد ما طويت مراحل من عمره مهمة فيندم عندئذ ندما كبيرا ويتمنى أن لو أيقظه موقظ أو صرخ في وجهه ناصح..

وهذا في الواقع يحصل لكل أحد فلا أحد ينجو من الغفلة ولا أحد يهرب من التأثر بدوامة الحياة.. ولكن ثمة لحظات صدق تائبة ونوبات خشوع صادقة تتلمس شغاف القلب المنيب إلى ربه يحاسب فيها نفسه ويجدد فيها العهد وعندها تثور ثائرة مشاعره الصادقة التائبة وتغرورق عيناه بدموع إيمان فيكون بكاؤه عندئذ أشبه ما يكون بغيث السماء الذي يرسله الله سبحانه على جدباء الأرض فيحييها وينبت فيها الحياة من جديد) [٩٣]

ما أغلي تلك الدموع... (إنها صافية اللون، لؤلؤية البريق، تتحدر على الوجنات، وتمتزج بشهيق العبرات، مبدؤها قلوب مشفقة، وعقول متدبرة، وألسن تالية، وشفاه مسبحة، ومن بعد عيون دامعة، إنه بكاء الخشية والخوف، بكاء الرجاء والشوق، بكاء التوبة والندم، بكاء الإدكار

[٩٣] من مقال البكاء من خشية الله تربية للقلب الشيخ خالد روشة

والإعتبار، بكاء تغسل به الدموعُ الذنوبَ، وتمحو به العبراتُ السيئاتِ، لله ذلك البكاء، ما أجلاه للقلوب، وما أزكاه للنفوس)[٩٤]

لقد مدح الله تعالى البكائين من خشيته وأشاد بهم في كتابه الكريم: (ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) (الإسراء ١٠٧-١٠٩)

(هكذا يخر عباد الرحمن لربهم كلما وقعت الذكرى بقلوبهم.. يخرون كما تخر الجبال الرواس إذا ازَّلْزَلَتْ الأرضُ من تحتها وانهارت من أعلاها خشوعا وخضوعا لله الواحد القهار فلا يملك العباد عند ذلك إلا البكاء.. البكاء الحار العميق لِمَا وقع في مواجيدهم من المعرفة بِقَدْرِ الله العظيم وبمقامه العلي الكريم ولِمَا تنثره أسماؤه الحسنى على قلوبهم المتضرعة من أنوار التسبيح وجمال التقديس وما يقتضيه ذلك كله من المشاهدة لحقوق الله جل وعلا على عباده فيهرع العبدُ إلى منازلِ البَوْءِ بالنعمة والبَوْءِ بالذنب معاً تائباً منيباً تسبقه دموعُه إلى حدائق السجود.. ومن ذا قدير على حبس عيون الروح أن تتدفق بأشجان الذكرى؟!.. إلا من كانوا صُمّاً بُكْماً عُمْياً فهم لا يفقهون)[٩٥]



١- استشعار الخوف من الله تعالى:

[٩٤] همسات قلب ص ٢١ د.علي بن عمر باحدح

[٩٥] مجالس القرآن ص٢٦٧ د. فريد الأنصاري

البكاء من خشية الله سمة للعبد المؤمن وصفة من صفات الإيمان التي تدل على زيادته وعظمته وحياته في القلوب.. فسجود المحراب ومناجاة الأسحار ودموع المناجاة هي خاصية يتميز بها القلب الموصول بالله عن غيره.

٢- استشعار الندم والشعور بالتفريط في جنب الله:

وهو من أعظم بواعث البكاء (لأن الذنب علامة هوان العبد عند الله و لو عز عنده لعصمه ولأنه يبعد الملك ويدني الشيطان وينفر الصالحين ويقرب المذنبين.. يمنع الرحمات وينزع البركات ويوجب اللعنات ويدني من النار ويصرف عن الجنة ولو مات العبد فور ارتكابه له لختم له بسوء.. كل هذا يدفع العبد إلى أن يغسل الحوبة بدمع ويرفع الزلل بندم ويحرق الذنب بوجل) [٩٦]

٣- الشفقة من سوء الخاتمة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسَهم أن يُصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنّع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وأسرع المشيَ حتى أجاز الوادي) (متفق عليه رواه البخاري ٣٣٨٠ ومسلم ٢٩٨٠)

٣- البكاء على فوات الطاعة:

[٩٦] صفقات رابحة ص ١٣٥ د. خالد أبوشادي

وخـير مثـال علـي ذلـك السـبعة الـذين جـاءوا إلـي الـنبي عليـه الصـلاة والسلام في أثنـاء الإعـداد لغـزوة تبـوك يسـألونه مـا يحملـهم عليـه فلـم يجـدوا فرجعــوا وهــم يبكــون أســفا وحزنــا علــي مــا فــاتهم مــن شــرف الجهــاد والمساهمة في النفقـة فيـه وهـؤلاء هـم الـذين عرفـوا فـى المسـلمين بالبكـائين.. ونـــزل فـــيهم قـــول الله عزوجـــل (ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ)(التوبة ٩١ -٩٢).

أخي في الله... هذا ما أبكي الصادقين المخلصين.. وأنت ما يُبكيك؟

- هل تأملت عظيم جنايتك فأسبلت العبرات؟
- هل تأملت جميل ستر الله عليك فأطلقت الزفرات؟
- هل تأملت عنايـة الله بـك وإمهالـه لـك مـع إعراضـك عنـه وفـرارك منه؟ فسكبت الدموع مع الآهات؟

فوا قلباه...

- ألا تبكـي شـوقًا إلى الله؟ ألا إنـه مـن بكـى شـوقًا إلى سـيده لم يحرمـه النظر إليه..
- ألا تبكي خوفًا مـن النـار؟ ألا إنـه مـن بكـى خوفـا مـن النـار أعـاذه الله منها..
- ألا تبكي خوفًـا مـن العطـش يـوم القيامـة؟ ألا إنـه مـن بكـى خوفًـا من ذلك سُقِي على رؤوس الخلائق يوم القيامة..

- ألا تبكي وقد علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: وذكر منهم ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) (متفق عليه رواه البخاري ٦٠ ومسلم ١٠٣١)

من ثمرات البكاء من خشية الله:[97]

١- في ظل عرش الرحمن: وقد مر بك حديث النبي عليه الصلاة والسلام السابق إنه رجل امتلأ قلبه خشية لربه حتى فاض على عينيه بالعبرات.. عامل ربه سرًا فأثابه الله جهرا.. قاسى حرارة الخوف في الدنيا فسلم من حر يوم القيامة وأظله الله في ظل عرشه.

٢- الأمان من عذاب الله: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (عينان لا تمسهما النار أبدًا: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) (صحيح الجامع ٤١١٣)

3- في كنف المحبة الإلهية: عن أبي أمامة رضي الله عنه.. عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة دموع تخرج من خشية الله وقطرة دم تهرق فى سبيل الله.. أما الأثران فأثر فى سبيل الله (الجهاد) وأثر فى فريضة من فرائض الله) (أخرجه الترمذي).

[97] صفقات رابحة ص ١٢٩- ١٣٣ بإختصار وتصرف د. خالد أبوشادي

4- غفران الذنب: وهـذا مـا أخـبر بـه مالـك ابـن دينـار (أن البكـاء علـى الخطيئه يحط الخطايا كما تحط الرياح الورق اليابس).

6- شعار القلب الحي: كمـا وضـح ذلـك الإمـام ابـن الجـوزي رحمـه الله فقال: (لأن الخشـبة اليابسـة إذا دخـل طرفاهـا الواحـد فـى النـار عـرق طرفهـا الأخر (أي ظهـر عليـه آثـار المـاء) وكـذلك القلـب اذا كانـت فيـه حرقـة ندامـة الـذنوب جـادت العينـان بوابـل الـدموع ولانـت الجـوارح بالخضـوع والقلـب بالإنابة والخشوع).

منارات على الطريق:

- أتى الحسن البصري بكوز مـن مـاء ليفطـر عليـه فلمـا أدنـاه إلى فمـه بكـى وقال تذكرت أمنية أهـل النـار حـين يقولـوا (ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ) وذكـرت مـا أجيبـوا به (ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ)
- وهـذا الفضـيل بـن عيـاض رضـي الله عنـه قـرأ ذات ليلـة سـورة محمـد فلمــا وصــل إلى قولــه تعــالى (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ) (محمـد ٣١).. فجعــل يردّدها ويبكي ثم جعـل يبكـي ويقـول: وتبلـوَ أخبارنـا.. وتبلـو أخبارنـا.. إن بلوت أخبارنـا فضـحتَنا وهتكـت أسـتارنا.. إن بلـوت أخبارنـا أهلكتنـا وعذبتنا.
- وكان عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه إذا وقـف علـى قـبر يبكـى حتـى يبل لحيته فقيـل لـه: تـذكر الجنـة والنـار فـلا تبكـي وتبكـي مـن هـذا(أي مـن القـبر)؟! فقـال إن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: (إن

القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) [98]

- وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟! فقال: (أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ولكن أبكي على بُعد سفري وقلة زادي وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي!).
- وقرأ رجل عند عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة (ٻ ٻ ٻ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ) (الفرقان١٣).. فبكى حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه فقام من مجلسه فدخل بيته وتفرّق الناس.
- يقول ابن الجوزي رحمه الله (شرب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماء مبردا فبكي واشتد بكاؤه.. فقيل له مايبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عزوجل (ک ک گ گ گ) (سبأ٥٤).. فعرفت أن أهل النار لايشتهون شيئا شهوتهم الماء البارد.. وقد قال الله عزوجل (ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ) (الأعراف٥٠)

فيا قلبي..

البكاء يطفيء جمر الذنوب.. ويحيي زرع القلوب.. ويوصلك إلي المطلوب.. فابكِ في خلواتك علي جفواتك.. ابكِ بعبراتك علي عثراتك.. ابكِ في لياليك علي غيك وتماديك.. ابكِ في أيامك علي ذنوبك وآثامك.

[98] رواه الترمذي (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٤٢)

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم ارزقنا دمعات صادقات من خشيتك تمحي بها ذنوبنا وترحم بها ضعفنا وتجبر بها كسرنا وتحقق بها أسمى أمانينا.

اللهم ارزقنا دمعات صادقات تجلي بها قسوة قلوبنا ومرض نفوسنا وخراب ضمائرنا

اللهم ارزقنا دمعات صادقات تكون لنا شاهدات يا ربنا يا عظيم المكرمات.

قلب ينطرح على عتبة الإفتقار لله

(نـاداني أحـد مَـن مـررت بهـم في الطريـق بلقـب أحبـه.. فسـررت بندائـه وشعرت بعزة ورفعـت رأسـي أنفـة واستشـعارا لمـدلول اللقـب فمـا لبثـت أن أفعـل ذلـك حتـى اتكـأت قـدمي اليمنـى علـى حجـر صـغير ملقـى علـى الرصـيف غـير منـتظم الشـكل دار تحـت قـدمي دورتـين فلـم أسـتطع حفـظ توازني وما دريـت بنفسـي إلا وأنـا علـى الأرض منطـرحٌ على بطـني ووجهـي يلامـس الأرض وأنفـي يكسـوه الـتراب كمـا يسـقط الطفـل المتعثـر الحـديث عهـدٍ بمشـي.. قمـت مـن علـى هـذا الـتراب فوجـدتني في حـالٍ يرثـى لهـا فعلمـت قـدري.. ونظـرت إلى ذلـك الحجـر الصـغير فوجدتـه ضـئيلا خفيـف الوزن يقدر النمل على حمله مـع مخـزون طعامـه في بيـات الشـتاء فعلمـت كـم أنا ضعيف.. أقد فعل هـذا الحجـر الصـغير بـي كـل هـذا؟.. ألا تسـاوي قـوتي حجم حصاة؟!)[٩٩]

عجبـا لـك ياقلـب.. ألم تسـمع قـول ربـك عزوجـل (ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ) (فاطر ١٥– ١٧)

إي وربي جميع الناس فقراء إلي الله..

- فقراء في إيجادهم.. فلولا خلق الله لهم لم يوجدوا.
- وفقـراء في إعـدادهم بـالقوى والأعضـاء والجـوارح.. فلـولا إعـداد الله

---

[٩٩] مقال الإنكسار لله نصر حسان

إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

- وفقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة.. فلولا فضل الله وإحسانه وتيسيره الأمور لما حصل لهم من الأرزاق والنعم شيء.
- وفقراء إلى ربهم في صرف النقم عنهم ودفع المكاره وإزالة الكروب والشدائد.. فلولا دفعه عنهم وتفريجه لكرباتهم وإزالته لعسرهم لإستمرت عليهم المكاره والشدائد.
- وفقراء إلى ربهم في تألههم له وحبهم له وعبادتهم إياه وإخلاص العبادة له.. فلو لم يوفقهم لذلك لهلكوا وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.

أخي في الله..

(قد يُعطي الإنسان أموالاً، وقد يمنح عقاراً، وقد يرزق عيالاً، وقد يوهب جاهاً، وقد ينال منصباً عظيماً، أومركزاً كريماً، أو زعامة عريضة، أو رياسة مكينة، قد يحف به الخدم ويحيط به الجند، وتحرسه الجيوش، وترضخ له الناس، وتذل له الرؤوس، وتدين له الشعوب، ولكنه مع ذلك كله فقير إلى الله، محتاج إلى مولاه... إن من لم يُشْرِب قلبه حقيقة الفقر ويُشعر نفسه بشدة الحاجة وعظيم الفاقة للواحد الأحد الفرد

الصمد الغني فلن يعرف للعبودية طعماً ولن يجد للسعادة رسماً وهو عن البصيرة أعمى)[100]

حقيقة الإفتقار إلى الله:

عرَّفه الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله: (حقيقة الفقر: ألا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء بحيث تكون كلك لله وإذا كنت لنفسك فثمَّ ملك واستغناء مناف للفقر.. ثم قال: الفقر الحقيقي دوام الإفتقار إلى الله في كل حال وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه).

فالإفتقار إلى الله تعالى أن يُجرِّد العبد قلبه من كل حظوظها وأهوائها ويُقبل بكليته إلى ربه عزوجل متذللاً بين يديه، مستسلماً لأمره ونهيه، متعلقاً قلبه بمحبته وطاعته.. والمتأمل في جميع أنواع العبادة القلبية والعملية يرى أن الإفتقار فيها إلى الله هي الصفة الجامعة لها فبقدر افتقار العبد فيها إلى الله يكون أثرها في قلبه ونفعها له في الدنيا والآخرة..

(إن العبادة بجميع مظاهرها وشتى أحوالها وكامل أفعالها وأقوالها مظهر صادق للإفتقار.. بل هي المظهر الأسمى والأسلوب الأرقى..

- انظر إلى الصلاة.. إلى ألفاظها، إلى أدعيتها، خشوع وخضوع، وبكاء ودموع، تذلل وانطراح.. انظر إلى الركوع الذي هو انحناء لعظمة الغني، وتمهيد لإفتقار أكبر وانطراح أعظم، وهو السجود، وهل يُعلن

[100] الله أهل الثناء والمجد ص ١٢٦

الفقر إلا في السجود حيث يهوي الرأس على الثرى ويُمرغ الجبين في الأرض، ويغرس الأنف في التراب، افتقاراً لرحمة الوهاب؟!.

- انظر إلى الصوم.. حيث يُمنع الأكل، ويُحظر الشراب، ويُجوّع البطن ويُحيي الليل ويُشد المئزر، ويُوقَظ الأهل، وتُصَفّ الأقدام، وتسكب العبرات، وتُرفع الدعوات معلنة فقرها إلى جود المنان وعطاء الرحمن.
- انظر إلى الزكاة.. حيث يبذل الغني ماله، وينفق دراهمه، ويرسم الغني لوحة للفقر إلى الله، وصورة للفاقة إلى مولاه.
- انظر إلى الحج.. فهو من أروع مناظر الإفتقار، وأصدق مظاهر الحاجة، يتخلى الغني عن ثياب الغنى، ويخلع المرء عمامته، ويتجرد من ملابسه، ويقبل في رداء وإزار كأنه لا يملك شيئاً، ولا يجد مالاً، وينزل من قصوره ويتخلى عن دوره، فيأتي حاسر الرأس، شاحب اللون، خاشع القلب، واجف الفؤاد، يعلن فقره لرب العباد مردداً أعذب كلمات الفاقة، وأصدق عبارات الحاجة، أروع لحون الفقر، معلناً أن الملك لله والعبودية لله، والحمد لله، والنعمة لله، الغنى لله (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك)) [١٠١]

مما سبق يتبين أنه لاغني لصاحب القلب الموصول بالله عن (الذل والإنكسار والخضوع والإفتقار للرب جل جلاله فيشهد في كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة وافتقارا تاما إلى ربه ووليه ومن بيده

[١٠١] الله أهل الثناء والمجد ص١٢٧

صلاحه وفلاحه وهداه وسعادته.. وهذه الحال التي تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها وإنما تدرك بالحصول فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء بحيث يرى نفسه كالإناء المرضوض تحت الأرجل الذى لا شيء فيه ولا به ولا منه ولا فيه منفعة ولا يرغب فى مثله وأنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبر جديد من صانعه وقيمه فحينئذ يستكثر فى هذا المشهد ما من ربه إليه من الخير ويرى أنه لا يستحق قليلا منه ولا كثيرا.. فأي خير ناله من الله استكثره على نفسه وعلم أن قدره دونه وأن رحمة ربه هى التى اقتضت ذكره به وسياقته إليه واستقل ما من نفسه من الطاعات لربه ورآها ولو ساوت طاعات الثقلين من أقل ما ينبغى لربه عليه واستكثر قليل معاصيه وذنوبه فإن الكسرة التي حصلت لقلبه أوجبت له هذا كله.. فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه!.. وما أنفع هذا المشهد له وأجداه عليه! وذرة من هذا ونفس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة وملكته هذه الذلة فهو ناكس الرأس بين يدي ربه لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلا من الله) [١٠٢]

وهذا ما توصل إليه ابن عطاء الله رحمه الله فصاغها لك في حكمة رائعة:

(تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه.. تحقق بذُلِّك يمدك بعزه.. تحقق بفقرك

---

[١٠٢] مدارج السالكين ج١ ص٤١٩-٤٢٠

يمدك بغناه.. تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته)

لله دُر ابن عطاء الله... (ما أعظم أن يكون الضعيف مرتبطاً بالله القوي! ما أعظم أن يكون العبد العاجز مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى الذي لا منتهى لكماله!.. ما أعظم أن يخضع الفقير المعدم للغني القاهر سبحانه وتعالى!.. إنه حينئذٍ يتحول إلى صورةً أخرى وإلى معنىً آخر في هذه الحياة.. إنه يرتبط حينئذٍ بالسماء.. يرتبط بنور الوحي.. يرتبط بنفخة الله عز وجل التي نفخها في خلقة آدم أول ما خلق عندما جعل خلقه قبضة من طين ونفخةً من روح.. عندما أراد الله عز وجل أن يجعل لهذه الروح غذاءها المرتبط بخالقها سبحانه وتعالى) [١٠٣]

الطريق إلى الإفتقار إلى الله:

عن طريق أمرين:

١- إدراك عظمة الخالق وجبروته: فكلما كان العبد أعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه كان أعظم افتقاراً إليه وتذللاً بين يديه.. فمَنْ تدبر الآيات البينات التي جاء فيها ذكر صفاته العلى وأسمائه الحسنى انخلع قلبه إجلالاً لربه وتعظيماً لمقامه وهيبة لسطوته وجبروته سبحانه وتعالى.. وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: (القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب

[١٠٣] من مقال لذة المناجاة وحلاوة العبادة.. د. علي بن عمر باحدح

الملح في الماء.. وتارة يتجلى في صفات الجمال والكمال وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات، فيستنفد حبُّه من قلب العبد قوة الحب كلها بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله فيصبح عبده فارغاً إلا من محبته.. فإذا أراد منه الغير أن يعلق تلك المحبة به أبى قلبه وأحشاؤه ذلك كل الإباء).. ثم قال: (وجماع ذلك أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة وبصفات ربوبيته تارة فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه والأنس والفرح به والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه بطاعته، واللهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همَّه دون ما سواه، ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه والاستعانة به والذل والخضوع والانكسار له)[١٠٤]

٧- إدراك ضعف المخلوق وعجزه: فمن عرف قدر نفسه وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفاً ولا عدلاً.. تصاغرت نفسه وذهب كبرياؤه وذلَّت جوارحه وعظم افتقاره لمولاه والتجاؤه إليه وتضرعه بين يديه.. إن الإنسان (لا يستطيع أن يتولى إدارة شئون جسمه وتدبير أموره ولو للحظة واحده... فالقلب يحتاج إلى تعهد دائم ومطلق ليستمر في الخفقان وضخ الدم إلى جميع أنحاء الجسم والدم يحتاج لأن يظل في درجة معينة من السيولة لو انخفضت لحدثت جلطات وانسدت الشرايين ولو زادت لحدث نزيف.. العضلات تحتاج

[١٠٤] الفوائد ص ٧٤ -٧٦ بإختصار.. الإمام ابن القيم

دوماً إلى مـن يتعاهـد انقباضـها وانبسـاطها ولـو لم يحـدث ذلـك لشُـل الجسـم.. الرئتـان.. الكليتـان.. المـخ.. جهـاز الهضـم والإمتصـاص.. جهـاز الإخـراج.. جهـاز المناعـة.. الغـدد، بـل كـل خليـة مـن خلايـا الجسـم البـالغ عـددها عـدة تريليونـات تحتـاج إلى إمـداد مسـتمر وإلا توقفـت عـن العمـل.. كـل ذلـك ينبغـي أن يـتم بصـورة دائمـة، فلـو توقـف إمـداد المـخ بالـدم عـدة دقـائق لتوقفت الحيـاة، ولـو تخلـت الكليتـان عـن عملـهما لتسـمم الـدم، ولـو، ولـو، ولو... إلخ. معنى ذلك أن الجسـم يحتـاج إلى مـن يقـوم عليـه ويمـده بمـا يحفظـه ويكفـل لـه الإسـتمرار في وظائفـه ويـدير عملياتـه الحيويـة لينـتج عـن ذلـك: نطـق باللسـان، ورؤيـة بـالعين، وحركـة بـالأطراف، وهضـم للطعـام، وإخـراج للفضلات، وشهيق وزفير، و...

ومن منا يقـدر أن يقـوم بـذلك ولـو للحظـة واحـدة.. فـنحن نضـع اللقمـة في الفـم ولا نـدري مـاذا يجـري لهـا داخـل الجسـم ولـو تُـرك لنـا هضـمها وتوزيـع خلاصـتها وإخـراج فضـلاتها لمـا اسـتطعنا أبـداً.. إذن نحـن بحاجـة إلى من يقوم بـإدارة شـئون أجسـادنا وإمـدادها بمـا يصـلحها، ويحـافظ عليهـا، وذلـك دونمـا توقـف لـيلاً أو نهـاراً بـل ولا لحظـة واحـدة ويسـتوي في ذلـك جميع البشر القوي منهم والضعيف.. الغني والفقير)[١٠٥]

وقد جمع الإمـام ابـن القـيم بـين هـذين الأمـرين فقـال: (مَـنْ كملـت عظمـة الحـق تعـالى في قلبـه عظمـت عنـده مخالفتـه.. لأن مخالفـة العظـيم ليسـت كمخالفة مَنْ هو دونـه.. ومَـنْ عـرف قـدر نفسـه وحقيقتهـا وفقرهـا الـذاتي إلى

[١٠٥] حقيقة العبودية ص ٢١ -٢٢ د. مجدي الهلالي

مولاها الحق في كل لحظة ونَفَس وشدة حاجتها إليه عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونَفَس وأيضاً فإذا عرف حقارتها مع عظم قدر من خالفه عظمت الجناية عنده فشمَّر في التخلص منها وبحسب تصديقه بالوعيد ويقينه به؛ يكون تشميره في التخلص من الجناية التي تلحق به) [١٠٦]

فيا قلبي المسكين..

(لا تتنكر لهويتك.. قدم نفسك إلي الله علي أساسها وقف علي بابه مسترحما.. تقرب إليه بذُلّك الذي أنت مصدره يمدك بعزه الذي هو مصدره.. تقرب إليه بعجزك الذي هو شأنك يمدك بقوته التي هي من وصفه وشأنه.. تقرب إليه بضعفك الذي منه خُلقت وإليه تعود.. يمدك بحوله الذي قام به ملكوت السماوات والأرض) [١٠٧]

ياقلبي المعجب بنفسه..

(إذا رقصت النعم في دارك وازدهرت العافية في جسدك وتكاثر المال في يدك.. فلا تنسين فقرك وعجزك واذكر أنك إنما تجلس من ذلك كله على مائدة الرحمن ويوشك إن أراد أن يطردك منها فإذا أنت جائع عار شارد عن الأهل والدار تعاني من الأسقام والآلام) [١٠٨]

---

[١٠٦] مدارج السالكين ج١ ص ١٤٤ ـ ١٤٥

[١٠٧] الحكم العطائية شرح وتحليل للبوطي ج ٢ ص ٤١٩

[١٠٨] المصدر السابق ٤١٥

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللـهم إنـك تسـمع كلامـي، وتـرى مكـاني، وتعلـم سـري وعلانـيتي، ولا يخفـى عليـك شـيء مـن أمـري.. أنـا البـائس الفقـير، المسـتغيث المسـتجير، الوجـل المشـفق، المقـر بذنبـه إلهـى أسـألك بعـزك وذلـي بـين يـديك.. أسـألك بقوتـك وضـعفى وبغنـاك عنـى وفقـرى إليـك هـذه ناصـيتي الكاذبـة الخاطئـة بين يـديك.. عبيـدك سـواي كـثير ولـيس لـي سـيد سـواك لا ملجـأ ولا منجـا منك إلا إليك.. أسألك مسـألة المسـكين وأبتهـل إليـك ابتهـال المـذنب الـذليل وأدعـوك دعـاء الخـائف الضـرير.. سـؤال مـن خضـعت لـك رقبتـه وذلّ لـك جسده ورغم لك أنفه.. وذل لك قلبه إلا رحمتنى وعفوت عني.

(اللـهم أنـت ربـي لا إلـه الا أنـت، خلقـتني وأنـا عبـدك وأنـا علـى عهـدك ووعـدك مـا اسـتطعت، أعـوذ بـك مـن شـر مـا صـنعت، أبـوء لـك (أقـر وأعـترف) بنعمتـك علـيّ وأبـوء بـذنبي، فـاغفر لـي، فإنـه لا يغفـر الـذنوب إلا أنت) (رواه البخاري ٦٣٠٦) [١٠٩]

[١٠٩] هذا هو دعاء سيد الإستغفار الذي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن فضله فقال: (من قاله من النهار موقنا به فمات من يومه قبل أن يُمسي دخل الجنة.. ومن قاله من الليل وهو موقن به فمات قبل أن يُصبح دخل الجنة)

قلب يسجد في محراب الخشية

- لما غابت خشية الله من القلوب.. شُغلت العيون بالنظر إلي المحرمات.. وألفت الآذان سماع المنكرات.. واستساغت الألسن اللغو والمحرمات.. واستعبدت النفوس الشهوات والملذات.
- لما غابت خشية الله من القلوب.. كثرت الذنوب وأظلمت القلوب وتفرقت بالهوي في شعوب.. واغترت النفوس بالأمل الكذوب.
- لما غابت خشية الله من القلوب.. تحجّرت القلوب وتبلدت الأحاسيس وتعطلت الجوارح.. فلا قلب يخشع ولا نفس تشبع ولا عين تدمع.. ونفوس للحرام تجمع.

ألا ما أروع الخشية.. إنها سمة المؤمنين وآية المتقين وديدن العارفين وطريقٌ للأمن في الآخرة وسببٌ للسعادة في الدارين ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام وصفاء القلب وطهارة النفس.

ما أروع الخشية.. شجرة طيبة إذا ثبت أصلها في القلب امتدت فروعها إلى الجوارح فآتت أكلها الطيبة بإذن ربها وأثمرت عملا صالحًا، وقولا رابحًا، وسلوكًا قويمًا، وفعلا كريمًا تخشع الجوارح، وينكسر القلب، ويرف الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين.

حقيقة الخشية:

○ الخشية خوف من الله مصحوب بتعظيم وإجلال وحب واذعان له

بالربوبية والمنة وهي تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل يكون تارة بكثرة الجناية من العبد وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته.. فالخشية أخص من الخوف.. فإن الخشية للعلماء بالله تعالى.. فهي خوف مقرون بمعرفة وخوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء (ۇ ۆ ۈ ۋ ۋ ۆ ۈ) (فاطر٢٨)

- ○ والخوف: هو اضطراب القلب ووجله من تذكر عقاب الله وناره ووعيده الشديد لمن عصاه.. والخائف دائما يلجأ إلى الهرب مما يخافه إلا من يخاف من الله فإنه يهرب إليه كما قال أبو حفص: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه.. فالخائف هارب من ربه إلى ربه.
- ○ قال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها.

فالخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة وقلّ أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى والشهوة والغفلة.. فالخوف هو الذي يهيج في القلب نار الخشية التي تدفع المسلم إلى عمل الطاعة والإبتعاد عن المعصية.

أخـــي في الله.. إن كـل شـيء يخافـه الإنسـان يهـرب منـه إلا الله.. فإنـك إذا خفته تهرب وتلجـأ إليـه وتقـترب منـه ولسـان حالـك يقـول (لا ملجـأ ولا منجي منك إلا إليك)

فالإنسـان يخشـى كـثيراً مـن المخلوقـات.. يخشـى النـار المشـتعلة والـوحش المفـترس والسـمّ المميـت والظـالم القـوي ولكنهـا خشـية محـدودة مقيـدة هـي البعـد عـن الضـرر الكـامن في المخـوف أو الناشـئ عنـه.. فـإذا أمـن الضـرر ذهب من نفسه الخوف أما خوف الله فمطلق غير مقيد ولا محدود.

ألا تري أن خـوف الإنسـان مـن سـيل جـارف سـيغرقه ويهلكـه يبكيـه وهـو مذعور فزع

وأن خوفـك مـن الله وخشـيتك منـه تبكيـك وأنـت سـعيد بهـذا البكـاء مـن خشية الله وتجد فيه حلاوة الإيمان والقرب من الرحمن.

 ما هو الخوف المطلوب؟

والخـوف المطلـوب هـو الـذي يحـث علـى العمـل ويكـدر جميـع الشـهوات ويـزعج القلـب عـن الركـون إلى الـدنيا ويـدعوه إلى التجـافي عـن دار الغـرور دون حديث النفس الـذي لا يـؤثر في الكـف عـن المعاصـي والحـث علـي فعـل الطاعات ودون الوصول إلـي اليـأس الموجـب للقنـوط وهـذا مـا أكـده الإمـام ابـن رجـب فقـال: (القـدر الواجـب مـن الخـوف مـا حمـل علـى أداء الفـرائض واجتنـاب المحـارم.. فـإن زاد علـى ذلـك بحيـث صـار باعثـاً للنفـوس علـى التشـمير في نوافـل الطاعـات والإنكفـاف عـن دقـائق المكروهـات والتبسـط في

فضول المباحات كان ذلك فضلاً محموداً.. فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أو وهماً لازماً بحيث يقطع عن السعى في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محموداً).

من ثمرات الخشية من الله:

١- المسارعة إلى الخيرات والتسابق إليها: (ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ) (المؤمنون٥٧-٦١)

(فهؤلاء المؤمنون يشفقون من ربهم خشية وتقوى وهم يؤمنون بآياته ولا يشركون به وهم ينهضون بتكاليفهم وواجباتهم وهم يأتون من الطاعات ما استطاعوا.. ولكنهم بعد هذا كله: (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ پ) لإحساسهم بالتقصير في جانب الله بعد أن بذلوا ما في طوقهم وهو في نظرهم قليل.. فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله (ٱ ب ب ٻ ٻ پ) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: لا يا بنت الصديق! ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)(رواه الترمذي).. إن قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ويحس آلاءه في كل نفس وكل نبضة.. ومن ثم يستصغر كل عباداته ويستقل كل طاعاته إلى جانب آلاء الله ونعمائه كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته ويرقب بكل مشاعره يد الله في كل شيء من حوله ومن ثم يشعر بالهيبة ويشعر بالوجل ويشفق أن يلقى الله وهو

مقصـر في حقـه لم يوفـه حقـه عبـادة وطاعـة ولم يقـارب أياديـه عليـه معرفـة وشكرا) [110]

قـال الحسـن البصـري رحمـه الله: (عملـوا والله بالطاعـات واجتهـدوا فيهـا وخافوا أن ترد عليهم إن المـؤمن جمـع إحسـانا وخشـية وإن المنـافق جمـع إسـاءة وأمنا)

٢- الهدايـــة والصـــلاح (ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ) (التوبة ١٨)

٣- الفوز والفلاح (ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ) (النور٥٢)

٤- المغفرة والأجر الكبير (ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ) (الملك١٢)

٥- دخـول الجنـة والنجـاة مـن النـار (ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ) (ق ٣٣-٣٥)

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عـن الـنبي عليـه الصـلاة والسـلام فيمـا يرويـه عن ربه جل وعـلا أنـه قـال:(وعزتي لا أجمـع علـى عبـدي خـوفين وأمـنين: إذا خــافني في الــدنيا أمنّتــه يــوم القيامــة، وإذا أمــنني في الــدنيا أخفتــه يــوم القيامة)(رواه أبن حبان في صحيحه).

يقـول الإمـام الغزالـي: (ولا يسـلم مـن أهـوال يـوم القيامـة إلا مـن أطـال فكـره في الـدنيا فـإن الله لا يجمـع بـين خـوفين علـى عبـد فمـن خـاف هـذه

[110] في ظلال القرآن ج٤ ص ٢٤٧٢

الأهـوال في الـدنيا أمنهـا في الآخـرة وليسـت أعـني بـالخوف رقـة كرقـة النسـاء تـدمع عينيـك ويـرق قلبـك حـال الموعظـة ثـم تنسـاه علـى القـرب وتعـود إلى لهـوك ولعبـك.. فمـا هـذا مـن الخـوف في شـيء فمـن خـاف شـيئا هـرب منـه ومـن رجـا شـيئا طلبـه فـلا ينجيـك إلا خـوف يمنعـك مـن المعاصـي ويحثـك علـى الطاعـة.. وأبعـد مـن رقـة النسـاء خـوف الحمقـى إذا سمعـوا الأهـوال سـبق إلى ألسـنتهم الاسـتعاذة فقـال أحـدهم: اسـتعنت بـالله اللـهم سـلم سـلم وهـم مـع ذلـك مصـرون علـى المعاصـي الـتي هـي سـبب هلاكهـم فالشـيطان يضحك من استعاذته كمـا يضـحك علـى مـن يقصـده سـبع ضـار في صـحراء ووراءه حصـن فـإذا رأى أنيـاب السـبع وصـرلته مـن بعـد قـال بلسـانه: أعـوذ بهـذا الحصـن الحصـين وأسـتعين بشـدة بنيانـه وإحكـام أركانـه فيقـول ذلـك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأني يغني عنه ذلك من السبع)

 الطريق إلى الخشية:

استشعار عظمة الله وجلاله ومعرفة أسمائه وصفاته:

وخاصـة صـفات العظمـة والجـلال مثـل (القـوي المـتين.. الجبـار.. القهـار.. المنـتقم.. العزيـز.. العلـي الكـبير..).. فـالله عزوجـل حقيـق أن يُخشـي ويُتقـي.. فهـو العظـيم الـذي لا أعظـم منـه.. والكـبير الـذي لا أكـبر منـه.. والعزيـز الـذي لا يـرام جنابـه.. وذو الإنتقـام الـذي لا يقـوم لغضـبه شـيء (ﯓ ﻫ ﻩ ﯔ)(البروج ١٢) وهو الـذى لـو يؤاخـذ النـاس بظلمهـم مـا تـرك علـى ظهـر

الأرض أحـــــــــدا (ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ) **(فاطر ٤٥)**

فالتأمـل والتـدبر في هـذه الأسمـاء والصـفات يغـرس في القلـب خشـية الله في السر والعلانيـة فيحـرص علـي أن يجـده الله عزوجـل حيـث أمـره ولا يجـده حيث نهاه.

تذكر الذنوب والمعاصي:

- **هـل فكـرت يومـا فـى إحصـاء ذنوبـك؟ هـل تتـذكر مـا ارتكبتـه مـن المعاصى والسيئات والوقوع في المحرمات والمنكرات؟**
- **هـل تـذكر النظـرة الحـرام.. الكـذب... الغيبـة.. النميمـة.. الريـاء.. السخرية والاستهزاء.. سوء الظن.. الحقد والحسد؟**
- **هـل تـذكر تقصـيرك فـى حـق والـديك؟ قطعـك لأرحامـك؟ إيـذاءك لجيرانك؟**
- **هل سألت نفسك كـم صـلاة فجـر نمـت عنهـا؟ كـم صـلاة أخرتهـا عـن وقتها؟ كم مرة هجرت القرآن؟**

ألم تعلـم أنـك سُتسـأل عـن كـل صـغيرة وكـبيرة (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ) **(الكهـــــف ٤٩).. بـــــــل ستحاســب علــى مثقــال الــذرة** (ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ) **(الزلزلــة ٧ -٨)**

وهكــذا.. إن دوام التفكــر فيمــا إقترفــه العبــد مــن المعاصــي والسـيئات ومعرفـة عاقبـة ذلـك مـن شـأنه أن يدفعـه إلـي دوام مراقبـة الله والخـوف مـن غضبه ومقته.

تذكر الموت:

إن سـاعة الاحتضـار هـذه ذات كـرب وشـدة وعسـر.. والكـيس مـن أكثـر ذكرها وتأمل في حاله ومآلـه.. كيـف مـرت تلـك اللحظـات علـى مـن سـبقك إنهـا والله مواقـف خـوف ووجـل وهـي عـبرة لمـن اعتـبر وإيقـاظ لمـن غفـل.. و(اعلم أنـه لـو لم يكـن بـين يـدي العبـد المسـكين كـرب ولا هـول ولا عـذاب سـوى سـكرات المـوت لكـان جـديراً أن يـنغص عليـه عيشـه ويتكـدر عليـه سـروره ويفارقـه سـهوه وغفلتـه وحقيقـا بـأن يطـول فيـه فكـره ويعظـم لـه استعداده لاسيما وهو في كـل نفـس بصـدده والعجـب أن الإنسـان لـو كـان في أعظـم اللـذات وأطيـب مجـالس اللـهو، فـانتظر أن يـدخل عليـه جنـدي فيضربه خمس خشبات لتكـدّرت عليـه لذّتـه، وفسَـدَ عليـه عيشُـه، وهـو في كـل نَفَـس بصـدد أن يـدخل عليـه ملـك المـوت بسـكرات النـزع وهـو عنـه غافل)[111]

تذكر اليوم الآخر وما فيه من أهوال وشدائد:

تخيـل نفسـك يـوم القيامـة والهـول شـديد والأمـر عصـيب والخلائـق حفـاة عـراة بـلا طعـام ولا شـراب ولا ظـل خمسـين ألـف سـنة... والعـرق شـديد...

---

[111] إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

والشمس تدنو من الرءوس... والأنفاس متقطعة والقلوب ترتفع إلى الحناجر من الفزع والرعب والأبصار شاخصة (ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ) (الحج٢)

وبينما تنتظر الحكم الإلهى إذا بك ترى الصحف تتطاير(ڃ چ چ) (التكوير١٠) لا تدرى أتأخذها بيمينك أم بشمالك... وبينما أنت كذلك غارق فى اضطرابك وفزعك يقال لك: (ھ ے ے ۓ ۓ ﮞ ﮞ)(الإسراء ١٤)

بل.. أخبرني كيف سيكون حالك إذا رأيت جهنم وهى قادمة من بعيد وأنت تسمع صوت لهيبها وغليانها (ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ڀ)(الفرقان ١٢)

(وبينما أنت واقف مع الخلائق إذ نظرت إلى الملك وقد أمر أن يحضر الزبانية فأقبلوا بأيديهم مقاطع من حديد فلما رأيتهم طار قلبك فزعاً ورعباً فبينما أنت كذلك إذ نودي باسمك فنوديت على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين: أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله عز وجل.. فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك وغلظ أكفهم حين أخذوك فتوهم نفسك محثوثة في أيديهم وتوهم تخطيك الصفوف طائراً فؤادك متخلعاً قلبك.. فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فقذفوا بك من أيديهم وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه: ادن مني يا بن آدم فغيبك في نوره فوقفت بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون وجل

مرعــوب، وطــرف خــائف، خاشــع ذليــل، ولــون مــتغير وجــوارح مرتعــدة مضطربة كالحمل الصـغير حـين تلـده أمـه.. فكـم لـك مـن خجـل وجـبن مـن المـولي الـذي لم يـزل إليـك محسـناً وعليـك سـاتراً.. فبـأي لسـان تجيبـه حـين يسـألك عـن قبـيح فعلـك وعظـيم جرمـك وبـأي قـدم تقـف غـداً بـين يديـه وبـأي نظـر تنظـر إليـه وبـأي قلـب تحتمـل كلامـه العظـيم الجليـل ومسـاءلته وتوبيخه؟) [١١٢]

إخواني في الله...

أمـا تعتـبرون بهـذه الأحـوال؟! أمـا تشـفقون مـن نـار جهـنم ومـا فيهـا مـن العذاب والأنكال؟! أما تحذرون سلاسلها والأغلال؟!

واعجبًـا لمـن يقـرع سمعـه ذكـر السـعير وهـو مـن عـذابها غـير مسـتجير!... أفيك جلَد على الحمـيم والزمهريـر؟!.. أفيـك جَلَـد علـى نـار وقودهـا النـاس والحجارة أم قد رضيت لنفسـك بهـذه الخسـارة؟!.. فيـا ويـح مـن كانـت هـذه الدار داره.. ألا إنها النار وقودوها الناس والحجارة...

لله دُر أقـوام اجتهـدوا في الطاعـات والقربـات وهـم خـائفون.. وعلـي بـاب الـذل والإفتقـار واقفـون.. وبـين يـدي مـولاهم بأسـرارهم عـاكفون.. يسـألون مولاهم صرف العـذاب ويخـافون مـن التـوبيخ والعتـاب.. وأنـت يـا قلـبي مـع تفريطــك واهمالــك وتقصــيرك في أعمالــك.. قليــل الفكــرة في حالــك ومآلك.. فمتي تسير علي خطاهم؟

---

[١١٢] من كتاب التوهم للحارث المحاسبي

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللـهم إنـي أسـألك خشـيتك في الغـيب والشـهادة واجعلـني أخشـاك كـأني أراك وأسعدني بتقواك.

اللـهم اجعلـني مـن أهـل خشـيتك وأربـاب طاعتـك.. اللـهم آمـن خـوفي في الدنيا والآخرة.

قلب يعشق الحرية

(في الحرية تمام العبودية.. وفي تحقيق العبودية تمام الحرية)

بهذه الحكمة البليغة عبر أحمد بن خضرويه رحمه الله عن حقيقة الحرية في ميزان الشرع وهي حرية القلب.. والعبودية الحقيقية هي عبودية القلب.. فمن أخلص عبوديته لله عزّ وجل وخلص من عبودية الخلق فهذا هو الحرُّ حقيقة وذلك لتحرُّر القلب من عبودية الخلق والعكس من ذلك: من ترك عبادة الله عزّ وجل أو قصّر فيها فلا بدَّ أن تسترق القلب عبودية المخلوق حسب ما تعلَّق به القلب من العبوديات لما سوى الله عزّ وجل.. أمّا عبودية البدن أو حريته فليست هي الميزان الحقيقي للعبودية والحرية.. إذ قد يكون الإنسان مملوكاً لإنسان آخر لكنه أخلص عبوديته لله عزّ وجل فصار بذلك حرّاً من عبودية ما سوى الله عزّ وجل.. وفي المقابل قد يكون الإنسان سيِّداً ملكاً لكنَّه في الحقيقة مسترق القلب عبداً لشهوته أوهواه أو زوجته أو منصبه أو جنوده وأتباعه..

الحرية الحقيقية:

ليست الحرية كما يظنها كثير من الناس (أن ينطلق الإنسان وراء أهوائه وشهواته يأكل كما يشاء ويفعل ما يشاء ويحقِّق كلَّ ما يهوى ويريد.. فتلك هي الفوضى أولاً والعبودية الذليلة أخيرًا... حين تستولي على الإنسان عادة الإنطلاق وراء كلِّ لذة والإنفلات من كل قيد يكون قد استعبدته اللَّذة على أوسع مدى وأصبح أسيرَها يجري في الحياة تحت

إرادتها ووحْيها.. لا يعمل إلا ما تريد ولا يستطيع فكاكًا مما تهوى، فما هذه الحرية التي تنقلب إلى عبوديةٍ لأهونِ ما في الحياة من قيمة ومعنى؟!

وحين ينطلق الإنسان وراء فتاة يهواها أو وراء الغانيات يشبع بهن لذائذه.. أيستطيع أن يزعم أنه حرٌّ من سلطانهن؟.. ألا تراه أسيرَ اللحظات رهنَ الإشارات شاردَ اللُّب أقصى أمانيه في الحياة بسمةٌ من حبيب هاجر أو وصالٌ من جسم ممتنع؟!.. أية عبودية أذلُّ من هذه العبودية وهو لا يملك حريته في الحب والكره، والوصْل والمنع، والرضا والغضب والهدوء والاضطراب؟!

وقلْ مثل ذلك في التهالك على المال والجاه والتعصب للبلد والعشيرة.. إن كل ذلك حين يستولي على قلب الإنسان ونفسه ينقلب إلى عبودية ذليلة، وكلُّ هوى يتمكن من النفس حتى تكون له السيطرة على الأعمال والسلوك، ينقلب بصاحبه إلى عبودية بشعة لا نهاية لقبحها.

ليست العبودية قيدًا ولا سجنًا فحسب.. فهذه أهون أنواع العبودية وأسرعها زوالاً ولكن العبودية الحقة عادةٌ تتحكم، وشهوةٌ تستعلي، ولذةٌ تطاع.. وليست الحرية هي القدرةَ على الانتقال من بلد إلى بلد فتلك أيسرُ أنواع الحرية وأقلُّها ثمنًا ولكن الحرية الحقة أن تستطيع السيطرة على أهوائك ونوازع الخير والشر في نفسك) [١١٣]

---

[١١٣] من مقال رمضان شهر الحرية د. مصطفي السباعي

أخي في الله...

مما سبق يتبين لنا أن الإنسان بين حالين لا ثالث لهما.. إما أن يتوجه بعبادته وخضوعه وانكساره لله الواحد القهار فيكون موحدًا مطيعًا مطمئنًا سعيدًا.. وإما أن يكون خاضعًا أسيرًا ذليلاً لمعبودات باطلة من الآلهة الكثيرة من الأصنام والأوثان والهوى والشهوة والمال والملذات وكل ما تعلق به فتجاوز به حده من محبوب أو متبوع أو مطاع.

 حقيقة العبودية:

والعبودية لله تعني: الإنقياد لحكمه سبحانه مع رضا النفس وتسليم القلب دون أدنى حرج أو ارتياب لثقته بأن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه وأنه تعالى أرحم به من أمه وأبيه وأنه سبحانه أعلم بما يصلحه ويزكيه (ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ)(الملك ١٤)

العبودية: حال إذا هيمنت على كيان الإنسان تفرّغ القلب عن شواغل الدنيا.. فَرَغَ القلب عن مشاعر الأحقاد والضغائن والحسد.. ذلك لأن العبودية لله عز وجل طردت كل ما سوى الله سبحانه وتعالى.

العبودية: حال إذا هيمنت على كيان الإنسان رقَّ قلبه فكان سريع التأثر بما يسمع من كلام الله.. سريع التأثر بما يسمع من موعظة الواعظين.. لا يرى من حوله مظهراً من مظاهر الدنيا إلاّ ويذكّره بالله سبحانه تعالى.

العبودية: (صلة بين الأرض والسماء، وبين الضعف والقوة، والفقر والغني، والبقاء والفناء، وصلة بين العبد الضعيف الفاني وبين الله القوي الغني الحي القيوم، فيها يحرر الإنسان من الرق للطاغوت، والعبودية للوثن والإستسلام للشهوات، والوقوع في براثن الغواية، والسقوط في مهالك الردى، وبها يغسل الإنسان من رجس الشرك وخبث الكفر وأدران الفسق، وأوساخ المعصية، وبها يطهر ضمير العبد من الخواء وقلبه من النفاق، وعمله من الرياء، ولسانه من الكذب وعينه من الخيانة، ونفسه من الظلم.. فيصبح بإياك نعبد وإياك نستعين عبداً لله مخلصاً مبراً من الشرك نقياً من الوثنية معصوماً من نزغات الشيطان محفوظاً من فتنة الشهوات والشبهات) [114]

العبودية: تقتضي إشغال جميع الجوارح والأحاسيس في طاعة الله وامتثال أمره لينحصر الإتجاه إليه سبحانه وتعالى في كل ما ركبه في جسم الإنسان كما تقتضي كفها وصيانتها عن الإنشغال بما لا يرضي الله وعن الإنهماك في المباحات المشغلة عن الواجب والمندوب خوفا من تراكم الغفلة المفضية إلى سخط الله.. فعبودية البصر تتحقق بحفظه عن النظر إلي المحرمات والعورات.. وعبودية اللسان تتحقق بتلاوة القرآن ودوام ذكر الله والمذاكرة في العلم النافع والبعد عن آفات اللسان من الغيبة والنميمة والكذب والسخرية والاستهزاء والفحش فى القول.. وعبودية الأذن

---

[114] علي بوابة الوحي

بـترك الإسـتماع إلـي المنكـرات والمعـازف وسـائر أدوات اللـهو والغنـاء.. وهكذا في جميع الجوارح.[115]

أخي... (إن مقتضى عبادة الإنسان لله وحده: أن يخضع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه من الإعتقادات والأقوال والأعمال وأن يكيف حياته وسلوكه وفقا لهداية الله وشرعه.. فإذا أمره الله تعالى أو نهاه، أو أحل له أو حرم عليه كان موقفه في ذلك كله.. سمعنا وأطعنا.. ففرق ما بين المؤمن وغيره: أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه.. خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله.. ليس المؤمن ﴿سائبا﴾ يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق.. إنما هو ملتزم بعهد يجب أن يفي به وميثاق يجب أن يحترمه ومنهج يجب أن يتبعه وهذا التزام منطقي ناشئ من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه.. مقتضى عقد الإيمان: أن يسلم زمام حياته إلى الله ليقودها رسوله الصادق ويهديه الوحي المعصوم. مقتضى عقد الإيمان: أن يقول الرب: أمرت ونهيت.. ويقول العبد: سمعت وأطعت. مقتضى عقد الإيمان: أن يخرج الإنسان من الخضوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه)[116] مقتضى عقد الإيمان: (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ) (الأحزاب ٣٦) مقتضى عقد الإيمان: (ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې) (النور٥١)

---

[115] راجع ما كتبه الإمام ابن القيم في مدارج السالكين عن مراتب العبودية فهو نفيس

[116] العبادة في الإسلام ص٥٣ د. يوسف القرضاوي

بين العبادة والعبودية:

العبـادة اسـم جـامع لكـل مـا يُحبّـه الله ويرضـاه مـن الأقـوال والأعمـال الباطنـة والظـاهرة و(هـي الوظـائف البدنيـة الـتي كلـف الله بهـا عبـاده مـن صلاة وصـيام وحـج وغيرهـا مـن العبـادات.. أمـا العبوديـة فهـي الـذل الـذي يهـيمن علـي كيـان الإنسـان ومشـاعره لخالقـه فيقـوده إلـي تعظيمـه ومهابتـه والإلتجـاء الـدائم إليـه بالإسـتغفار والـدعاء والرجـاء ومـن ثـم فهـو لا يـدين بـالولاء والتعظـيم لأي كـائن غـيره.. لـذا فالعبـادة وعـاء العبوديـة.. ومـن ثـم فـإن قيمـة العبـادة تكمـن في القـدر الـذي تنطـوي عليـه مـن معـني العبوديـة.. ذلك لأن الذي يقـرب العبـد إلـي الله تحققـه بمعـني العبوديـة لـه وإنمـا شـرعت العبادات وسيلة إلي ذلك)[117]

فيا قلبي المسكين...

اعلـم (أنـك في كـل تقلباتـك وحركاتـك وسـكناتك عبـد مملـوك لله.. وإنمـا تترجـم عبوديتـك لـه بمـا تتصـف بـه حقـاً مـن منتهـى الـذل ومنتهـى الضـعف والعجز ومنتهي الفقـر.. وأنـت عنـدما تنشـد الـتخلص مـن ذلـك، فإنمـا تنشـد ذلـك بالإلتجـاء إلـي عـزة الله وعنـدما تنشـد التحـرر مـن ضـعفك وعجـزك.. فإنما السبيل الوحيـد أمامـك الإلتجـاء إلـي قوتـه وعنـدما تنشـد الـتخلص مـن فقـرك فإنمـا سـبيلك إلـي الإلتجـاء إلـي غنـاه.. إذن.. فـلا تـنسَ وانـت تتمتـع بـالعزة أنـك تتمتـع بـالعزة التـى منحـك الله إياهـا.. ولا تـنس وأنـت تتمتـع

[117] الحكم العطائية شرح وتحليل ج٢ ص ٤٣١

بالقوة والقدرة أنك إنما تتمتع من ذلك بقوة الله وقدرته.. ولا تنس وأنت تتمتع بالغني أنك فقير منحك الله شيئا من وفده وغناه)[118]

ما أروع التذلل في محراب العبودية.. ما أروع إعلان فقرك المطلق أمام غني ربك وعن عجزك المطلق أمام قوته التى لا حدود لها.. وعن سوء حالك أمام واسع رحمته وعفوه.. وعن جهلك المطبق أمام علمه المحيط بكل شيء.. وعن حاجتك الدائمة إليه في كل شيء مقابل كونه الصمد الذى يحتاج إلية كل شيء ولا يحتاج هو إلي شيء.

[118] المصدر السابق ج٣ ص ٩٤

قلب يكره التشاحن والتباغض

أرأيت لو كانت لديك آنية من زجاج نظيفة لامعة ثم تعرضَت للأتربة حتى اغبرت وانطفأ بريقها فعاجلتها بالمسح والتنظيف فعاد إليها رونقها، ما كان أسهل ذلك عليك.. ثم أرأيت لو أنك أهملتها حتى تراكمت الأتربة وتحجرت واستمسكت فصار من العسير عليك حينئذ تنظيفها إلا أن تقسو عليها في التنظيف قسوة قد تحدث فيها خدشاً لا تمحوه الأيام. كذلك هي القلوب.. تحمل على من حولها الشيء بعد الشيء من الغضب أوالحقد أوالحسد فإذا بادر أصحابها بتنقيتها زال كل كدر وعم الصفاء وسلم الصدر وإذا أهملوا ذلك تراكمت المواقف وتتابعت المآخذ حتى يصبح في كل قلب على أخيه بغضاء لا تزول إلا بمعالجة شديدة ربما تركت خدشاً لا يمحوه الزمان.

أخي في الله.. إنه (ليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرأ من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد.. إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها.. وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه.. و بذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة راضيا عن الله وعن الحياة مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى.. فان فساد القلب

بالضغائن داء عياء وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم) [119]

إن صاحب القلب الموصول بالله حريص كل الحرص علي تجنب أسباب التشاحن والتباغض لذلك فهو:

يكره الحسد:

والحسد: تمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا... والحسد من أكبر الملوّثات النفسية التي تلوث الأخلاق وتسمم الأجواء وتوغر الصدور وتثير الضغائن والأحقاد وتحرك نوازع الشر من مكامنها فهو يجلب له الغم والهم والحزن والضيق، والقلق الدائم، والتوتر الشديد إرضاء الشيطان بموافقته له في معصية الله وإهدار الحسنات وكسب الخطايا والآثام.. ويكفيك في ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد)(رواه ابن حبان في صحيحه)

يكره الغيبة:

والغيبة أن يذكر الإنسان أخاه في غيبته بما يكره سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجه أو ثوبه أو حركته أوعبوسه أوغير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته

[119] خلق المسلم ص٧٩ الشيخ محمد الغزالي

بـاللفظ أو الإشـارة أو الزجـر أو الرمـز... فعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه أن رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام قـال: (أتـدرون مـا الغيبـة)؟ قـالوا: الله ورسوله أعلـم.. قـال: (ذكـرك أخـاك بمـا يكـره).. قيـل: أرأيـت إن كـان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كـان فيـه مـا تقـول فقـد اغتبتـه، وإن لم يكـن فيـه ما تقول فقد بهته(افتريت عليه الكذب)) (رواه مسلم٢٥٨٩)

والغيبـة ريـح منتنـة تـزكم منهـا الأنـوف وطعـم كريـه تعافـه الأذواق.. يكفـي المـؤمن ليتجنبهـا قـول الله عزوجـل (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ) (الحجرات ١٢)

ألا ما أعظم خطر الغيبة.. (نعـم مـن لم يعـرف كنـه جريمـة الغيبـة ولا حقيقـة مرتكبيها فلينظر إليها وإليهم فـى مـرآة القـرآن هنالـك يـرى ويـاهول مـا يـرى: خوانا ممدودا قد ألقيت عليـه فريسـة مـن البشـر؟ ويـرى حـول الخـوان شـرذمة جلودهـا جلـود البشـر وقلوبهـا قلـوب النمـر وقـد جعلـوا ينـالون مـن هـذه الفريسة لا رميـا بالسـهام وبالنبـال ولا طعنـا بالخنـاجر والنصـال ولكـن قضـما بالأسـنان ولكـن لعقـا باللسـان فعـل الضـوارى بـالرمم... أمـن البشـر تـراهم إذا أم من فصيلة أخـرى تأكـل لحـوم البشـر؟ فلـو أنهـم لقـوا فريسـتهم وجهـا لوجـه ونبـذوا إليهـا علـى سـواء لقلنـا إن فـيهم بقيـة شـهامة ولكـنهم لقوهـا مجردة مـن كـل سـلاح عـاجزة عـن كـل دفـاع.. فأتوهـا مـن قبـل ظهرهـا فـى ساعة غفلتهـا بـل فـى وقـت موتهـا فـأقبلوا عليهـا نهشـا ونهبـا ومصـا وعرقـا هـل رأيـت أفجـر وأغـدر؟ أم هـل رأيـت أرذل وأنـذل؟ ومـا ظنـك بعـد هـذا

كله لو كان المأكول أخا للآكلين.. أخا فى أسرة النسب أو أخا فى أسرة الدين؟) [120]

يكره النميمة:

النميمة هي السعي بين الناس بالإفساد لتحريض الناس بعضهم على بعض والإيقاع بينهم وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة.. وقد قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على قصد الإفساد بينهم..

وحسب النمام المفسد خزيا في الدنيا وسوء عاقبة في الآخرة هذ الحديث النبوي القاطع الذي يسد عليه كل باب من أبواب الأمل والرجاء إن ظل مصرًا علي خطيئته: (لا يدخل الجنة نمام) (رواه مسلم)

 يكره السخرية والإستهزاء واللمز:

والسخرية هي الاستهزاء والنظر إلى المسخور منه بعين النقص والإزدراء به قولاً أو فعلاً بحضرته.. واللمز هو أن يعيب الإنسان أخاه في وجهه بكلام ولو خفي ورب لمز خفي هو أشد من طعن صريح وأعمق جرحا في داخل النفس لأن فيه بالإضافة إلي الطعن والتجريح بالعيب معني استغباء الملموز واستغفاله.

[120] من مقال فاكهة المجالس الغيبة د. محمد عبد الله دراز

إن السـخرية واللمـز والتـداعي بالألقـاب موجبـة للفسـوق والخـروج عـن طاعـة الله تعـالى. فـلا يليـق بـالمؤمن الـذي حـل قلبـه الإيمـان واسـتنار بنـور الإسـلام أن يكـب علـى وجهـه وينقلـب علـى عقبيـه فتطلـق عليـه كلمـة الفسـق، وأن يشـيع ذكـره بـين النـاس علـى وصـف أنـه فاسـق بعـد أن عُـرف بالإيمان (بح بخ بم بى بي)(الحجرات ١١)

 يكره ظن السوء بالناس:

إن صـاحب القلـب الموصـول بـالله لايسـتمع الى هـذر النّـاس ولا يلقـي بـالا إلى مـا يصـدم سمعـــه مـن أقاويـل وإشـاعات وظنـون تمـوج بهـا مجتمعاتنـا اليـوم وبالتـالي لايرضـى لنفسـه أبـدا أن يخـوض في أعـراض النّـاس بـالحكم عليهم وقـذفهم بالكشـف عـن بواطنهـم واتهـام نيـاتهم وسـرائرهم... فلـيس مـن خُلقـه ولا مـن شـأنه أن يكشـف عـن سـرائر النّـاس ويغـوص في خصوصـياتهم ويخـوض في أعراضـهم.. فالسـرائر يعلـم خبيئهـا ويكشـف عنها ويحاسب عليها الإله الـذي يعلـم السـر وأخفـى.. أمـا الإنسـان فلـيس لـه من أخيه إلا الظاهر من عمله.

لـذا تـراه متحـرزا في كـل كلمـة يتفـوه بهـا متثبتـا مـن كـل حكـم يطلقـه لايغيـب عـن حسـه وفكـره قـول الله تعـالى يهتـف بـه: (ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئد ی ی یی) (الإسراء ٣٦)

بل إنه ليعد نقل كل ما يسمع وروايته لغيره قبل التثبت من صحته من الكذب المحرم الذي نص عليه الرسول بقوله (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع) (رواه مسلم)

يكره الهجر والقطيعة:

إنَّ صاحب القلب الموصول بالله لا يبغض أخاه ولايقاطعه.. وفي ذلك يقول النبي صلي الله عليه وسلم (لا يحل لمسلم أنْ يهجرَ أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا وفيعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) (متفق عليه)

ويكفي في هذا المقام أن أقص عليك هذا الموقف الرائع.. ففي يوم من الأيام حدث خلاف بين الحسين بن علي وبين محمد بن الحنفية(وهو أخو الحسين ولكن من أم غير السيدة فاطمة تزوجها سيدنا علي بعد وفاة السيدة فاطمة رضي الله عنها)

وحينما طال هذا الخصام أرسل محمد إلي الحسين هذا الخطاب: (يا أخي.. طال الخصام وطال البعاد.. وأنت خير مني وخيرنا الذي يبدأ بالسلام وإني أخشى أن أبدأك بالسلام فأكون خيرًا منك.. فإذا وصلك خطابي هذا.. فابدأني بالسلام لأنك خير مني).

يكظم غيظه ويعفو عن غيره:

إن الغيظ وقر ثقيل على النفس حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ودخان يعمي البصيرة أما حين تصفح النفس ويعفو القلب فهو الإنطلاق من ذلك الوقر والرفرفة في أفاق النور والبرد على القلب والسلام على الضمير.. هذا هو الشعور بالإحسان الذي يشعر به العبد المسلم وهو يصفح عن أخيه (ٿ ٹ ٹ ٺ ٺ ٹ ٹ ڤ ڤ) (آل عمران ١٣٤)

 من ثمرات سلامة الصدر:

١- طريق إلى الجنة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي عليه الصلاة والسلام فقال :يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة.. فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي عليه الصلاة والسلام مثل ذلك.. فطلع ذلك الرجل في مثل حاله الأولي.. فلما قام النبي عليه الصلاة والسلام تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت(خاصمت) أبي فأقسمت ألاأدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ فقال: نعم.. قال أنس (راوي الحديث) وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر.. قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً.. فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت: ياعبدالله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت

رسول الله يقول لـك ثـلاث مـرات: يطلـع علـيكم الآن رجـل مـن أهـل الجنـة فطلعـت أنـت الـثلاث المـرات.. فـأردت أن آوي إليـك فـأنظر عملـك فأقتـدي بك.. فلـم أرك عملـت كـبير عمـل.. فمـا الـذي بلـغ بـك مـا قـال رسـول الله قال: ما هو إلا مارأيـت غـير أنـي لا أجـد في نفسـي لأحـد مـن المسـلمين غشـاً ولا أحسد أحـداً علـى خـير أعطـاه الله إيـاه.. فقـال عبـدالله: هـذه الـتي بلغـت بك وهي التي لا نطيق) [121]

٢- سلامة الصدر تجعل صاحبها خير الناس وأفضلهم.. فـإن الـنبي قـد سـئل: أي النـاس أفضـل؟ فقال:(كـل مخمـوم القلـب، صـدوق اللسـان).. قالوا: صـدوق اللسـان نعرفـه، فمـا مخمـوم القلـب؟ قـال: (هـو التقـي النقـي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد) (رواه ابن ماجه ٤٢٠٦)

٣- سلامة الصدر تقطع سلاسل العيوب وأسباب الذنوب.. فـإن مـن سـلم صـدره وطهـر قلبـه عـن الإرادات الفاسـدة والظنـون السـيئة عـف لسانه عن الغيبة والنميمة وقالة السوء.

٤- سلامة الصدر سبب من أعظم أسباب قبول الأعمال الصالحة:

قـال الـنبي صـلى الله عليـه وسـلم: **(تفـتح أبـواب الجنـة يـوم الإثنـين ويـوم الخمـيس.. فيغفـر لكـل عبـد لا يشـرك بـالله شـيئا إلا رجـلا كانت بينه وبـين أخيـه شـحناء فيقـال: أنظـروا هـذين حتـى يصـطلحا.. أنظـروا هـذين حتـى يصـطلحا.. أنظـروا هـذين حتـى يصـطلحا)** (رواه

---

[121] رواه أحمد وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب

مسلم ٢٥٦٥) فانظر كم يضيع على نفسه من الخير من يحمل في قلبه الحقد والحسد والغل؟!

D- سلامة الصدر فيها صدق الإقتداء بالنبي.. فإنه أسلم الناس صدرًا وأطيبهم قلبًا وأصفاهم سريرة.. وشواهد هذا في سيرته كثيرة.. ليس أعظمها أن قومه أدموا وجهه يوم أحد وشجوا رأسه وكسروا رباعيته فكان يمسح الدم ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

 دعاء القلب الموصول بالله:

اللهم إنا نسألك صدورًا سليمة وقلوبًا طاهرة نقية.. اللهم طهر قلوبنا من الشرك والشك والنفاق وسائر الآفات.

اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

وقبل الختام

أخي القاريء..

طُفت معك عبر الصفحات السابقة مع أهم معالم القلب الموصول بالله ولا أقول كلها فللقلب سمات وأحوال كثيرة لا يحصرها هذا الكتاب وإنما اكتفيت بعشرين صفة منها.. كما أنني لا أدعي أنني قد أوفيت كل صفة حقها فهذا أمر يطول.. فكل صفة تحتاج إلي كتاب مستقل.

أخي.. ما أردت من هذا الكتاب أن تقرأه وتقلب صفحاته ثم تغلق الكتاب وينتهي الأمر.. وإنما أردت منه أن أذكرك أنه لا حياة للقلب ولا طمأنينة ولا نعيم إلا في تقوية الصله بالله عز وجل وإخلاص العبوديه له.. لن تنعم بجنة الدنيا إلا إذا امتلأ القلب بجلاله وأنس بقربه وفرح بطاعته واشتاق إلى لقائه...

بإختصار أن تكون جنتك في صدرك

نعم.. جنتك في صدرك أينما رحلت وأينما حللت... فلا شهوة تستعبدك.. ولا نزوة تستذلك.. ولا شيطان يُضلك ولا عادة تأسرك.. ولا دنيا تُشغلك.. ولا هم يؤرقك.. ولا قلق يصيبك.. ولا جزع يسيطر عليك..

فيا قلبي العليل.. ماذا تنتظر بعد ذلك؟ ماذا تنتظر وهاالزمن يتفلت من بين يديك؟ ما بقي وقت أكثر مما ضاع.. فمتى يكون الانتفاع؟

- ويحـك ياقلـب.. كـم تماطـل بالعمـل وتطمـع في بلـوغ الأمـل وتغـترّ بفسحة المهل ولا تذكر هجوم الأجل؟
- ويحـك يـا قلـب.. سـبقك الأوائـل فهـم الآن علـي أبـواب الوصـول.. وأنـت مـا زلـت في شـهواتك ورغباتـك مشـغول.. إلـي مـتي النـوم في مضـاجع الخمـول والـروح في أعمـاق طينـك تسـتغيث وتشـتاق إلـي رضـا الله والقبـول؟!.. فيـا ليـت شـعري.. إن (مـن أعجـب الاشـياء أن تعرفـه ثـم لاتحبـه.. وأن تسـمع داعيـه ثـم تتـأخر عـن الإجابـة.. وأن تعـرف قـدر الـربح في معاملتـه ثـم تعامـل غـيره.. وأن تعـرف قـدر غضـبه ثـم تتعـرض لـه.. وأن تـذوق ألم الوحشـة في معصـيته ثـم لاتطلـب الأنـس بطاعتـه.. وأن تـذوق عصـرة القلـب عنـد الخـوض في غـير حديثـه والحـديث عنـه ثـم لا تشـتاق إلى انشـراح الصـدر بـذكره ومناجاتـه.. وأن تـذوق العـذاب عنـد تعلـق القلـب بغـيره ولا تهـرب منه إلى نعيم الإقبـال عليـه والإنابـة اليـه.. وأعجـب مـن هـذا.. علمـك أنك لابـد لـك منـه.. وأنـك أحـوج شـيء اليـه وأنـت معـرض.. وفيمـا يبعدك عنه راغب) [١٢٢]
- ويحـك ياقلـب.. يـدعوك مـولاك فـلا تجيـب.. ويـأمرك بالإنابـة فـلا تنيب.. ويستحضـرك إلـي حضـرات قربـه وأنـت في المغيـب!.. إلـي مـتي تضـيع عمـرك ومـا نلـت مـن نصـيب؟ إلـي مـتي أنـت بعلـة زلتـك ولا ترفع قصة مرضك إلي طبيب؟

[١٢٢] الفوائد ص٥٠ ابن القيم

♥ ويحك يا قلب ألم تعدني أنك ستجاهد معي لنيل القرب من الله والأنس به والإقبالُ عليه؟!.. فمالي أراك قد نقضت العهد وخالفت الميثاق!.. أرجوك يا قلب.. لا تشمّت بيّ الشيطان.. لا تجعل نفسي الأمارة تنتصر عليّ.. لا ترجعني إلي الغفلة مرة أخري.. لا تتركني هائما في أودية الحياة وهموم الدنيا.. لا تخذلني.. لا تفضحني.. هل تسمعني؟!.. هل تسمعني؟!.. هل تسمعني؟! إني أنتظر بفارغ الصبر.. شوقي إلي رجوعك أحر من الجمر.. إني لا أطيق الهجر.. إني أشتاق إلي النعيم المقيم والرضوان العظيم مع أهل التقوي(ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) (القمر ٥٤-٥٥)

أخـــي في الله... لو سافرت سفرا ولم ترجع منه بربح لبكيت فوات أرباحك وضياع أوقاتك.. ورحلتك في هذه الكلمات سفر إن لم ترجع منه بربح فإبك ثوابا ضاع منك وجنة أوشكت أن تفلت من يديك.. إن لم يكن في الأسفار ربح فمن الحمق تكبد مشاقها.. إن لم تنفعك هذه الكلمات فلماذا أنفقت وقتك في قراءتها؟!

رجاء محبّ:

(وبعد... فلا أحسبك يا أخي إذا كنت محبّاً صادقاً أن تكتفي بقراءة هذه الرسالة مرّة واحدة.. فإن هي إلاّ ذكرى لمحبّ بمن يحبّ ولا أحسب المحبّ يملّ من ذكرى حبيبه وما أحوجنا إلى تجديد الذكرى.. وإذا كنت انتفعت بهذه الرسالة فما أحراك أن تخصّ كاتبه بدعوة صالحة أن يتقبّله

الله منه ويجعله نوراً في ميزان حسناته وذخراً له يوم يفرّ من سيئاته.. ولنفترق على عهد صادق.. عهد الحبّ في الله تعالى أوثق عري الإيمان وأخلص علائق الحياة وأصفاها.. فإني أحبّك في الله.. فلا تنسني ياأخي من دعائك وأستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك والله يتولاّنا وإيّاك برحمته وهداه)[١٢٣]

 ثناء ودعاء:

إلهي... أنا عبدك الفقير العاجز الضعيف المسكين وأنت ربي العزيز الرحيم.. أنا عبدك وابن عبدك.. قائم بين يديك.. متوسل بكرمك إليك.. إن كان صغُر في جنب طاعتك عملي فقد كبر في جنب رجائك أملي..

اللهم إنّي أستغفرك لما تبْت إليك منه ثمَّ عُدْتُ فيه.. وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي وأخْلَفْتُك.. وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالَطَه ما ليس لك.. وأستغفرك للنِّعم التي أنعمت بها عليَّ فتقويْت بها على معصيتك.. واستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها

إلهي... ارحم غربتي في الدنيا.. وارحم مصرعي عند الموت.. وارحم وحشتي في قبري وارحم قيامي بين يديك.

---

[١٢٣] حديث القلب ص٨٧

إلهي... يا حبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا قُرّة أعين العارفين ويا أنيس المنفردين ويا حرز اللاجئين ويا ظهر المنقطعين ويا من حنّت إليه قلوب الصدّيقين.. اجعلني من أوليائك المقرّبين وحزبك المفلحين.

إلهي... (أنت الذي صورتني وخلقتني وهديتني لشرائع الإيمان أنت الذي علمتني ورحمتني وجعلت صدري واعي القرآن أنت الذي أطعمتني وسقيتني من غير كسب يد ولا دكان وجبرتني وسترتني ونصرتني وغمرتني بالفضل والإحسان أنت الذي آويتني وحبوتني هديتني من حيرة الخذلان وزرعت لي بين القلوب مودة والعطف منك برحمة وحنان ونشرت لي في العالمين محاسنا وسترت عن أبصارهم عصياني والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني ولأعرضوا عني وملوا صحبتي ولبؤت بعد كرامة بهوان لكن سترت معايبي ومثالبي وحلمت عن سقطي وعن طغياني فلك المحامد والمدائح كلها بخواطري وجوارحي ولساني) [124]

اللهم تقبل مني هذا الكتاب واجعله خالصا لوجهك الكريم واجعلني برحمتك في زمرة المتقين ومن ورثة جنة النعيم (ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ) (النساء ٦٩)

يسعدني تلقي إقتراحاتكم وملاحظاتكم

Hanydorgham@yahoo.com

[124] من قصيدة لأبي محمد القحطاني الأندلسي

أهم المراجع

مدارج السالكين الإمام ابن القيم.. تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي - المكتبة التوفيقية

مفتاح دار السعادة الإمام ابن القيم.. تحقيق الشيخ علي بن الحسن الحلبي- دار ابن عفان الرياض

الفوائد الإمام ابن القيم.. تحقيق خالد بن محمد عثمان - مكتبة الصفا

الوابل الصيب من الكلم الطيب لإبن القيم.. عني به الشيخ صالح الشامي – دار القلم سوريا

إحياء علوم الدين الإمام أبو حامد الغزالي – دار التقوي

الحكم العطائية شرح وتحليل د. محمد البوطي – دار الفكر سوريا

في ظلال القرآن سيد قطب – دار الشروق

التفسير القرآني للقرآن د. عبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي
مجالس القرآن د. فريد الأنصاري – دار السلام

لله أهل الثناء والمجد د. ناصر الزهراني- مكتبة العبيكان الرياض في ظلال الإيمان د. صلاح الخالدي- دار القلم سوريا
الإيمان بالله د.علي الصلابي – مؤسسة إقرأ
موسوعة فقه القلوب محمد بن إبراهيم التويجري- بيت الأفكار الدولية
التوبة إلي الله د. يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة

النية والإخلاص د. يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة
الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي- مكتبة وهبة
التوكل د. يوسف القرضاوي- مكتبة وهبة
خطب الشيخ القرضاوي - مكتبة وهبة
علي بوابة الوحي د. عائض القرني - مكتبة العبيكان الرياض
همسات قلب د.علي بن عمر باحدح – سلسلة إصدارات موقع إسلاميات
بأي قلب نلقاه د. خالد أبوشادي – دار الفرقان
صفقات رابحة د. خالد أبوشادي- دار البشير
حديث القلب د. عبد المجيد البيانوني
شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة د. محمد علي الهاشمي – دار البشائر الإسلامية - بيروت

فهارس الكتاب

هذا الكتاب

لمّا غفل أكثر الناس عن القلب فلا يعلمون عنه شيئًا سوي أنه اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر المسئول عن ضخ الدم إلي جميع أجزاء الجسم وجهلوا أن القلب محل نظر الرحمن وبصلاحه يكون صلاح الإنسان وبفساده يفسد وهو قارب النجاة وسلم الوصول إلى برالأمان.. جاء هذا الكتاب ليذكر قلبي وقلبك بأنه لا حياة للقلب ولا طمأنينة ولا نعيم إلا في تقوية الصله بالله عز وجل وإخلاص العبوديه له فلن تنعم بجنة الدنيا إلا إذا امتلأ القلب بجلاله وأنس بقربه وفرح بطاعته واشتاق إلي لقائه... فيا فوز القلوب الموصولة بالله بمحبة الله في الدُّنيا وذوق برد اليقين وحلاوة الإيمان.. ويا سعادتهم يوم لقائه حين يحلُّ عليهم الكرامة والرضوان.